الكتاب الأول

مصر

وعد قيتها بالشرق القديم

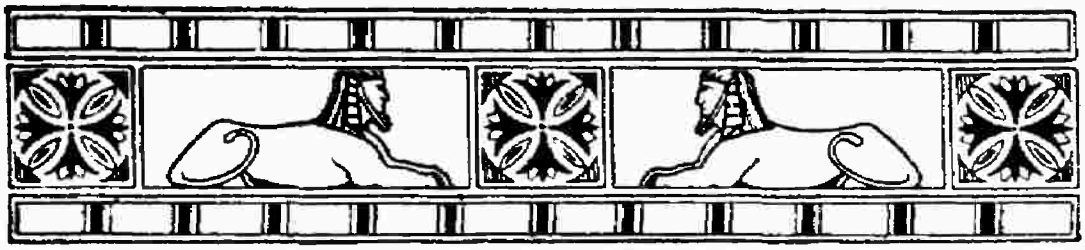

١ — مصادر تاريخ مصر

(١) الآثار

مصر أقدم بلاد العالم ، وآثارها الباقية حتى اليوم أقدم المخلفات التى تركها الانسان الأول ، وهذه الآثار مصدر هام اعتمدنا عليه فى معرفة الكثير من تاريخ قدماء المصريين ، فقد دوّنوا أخبارهم وحروبهم وصوّروا حياتهم اليومية واضحة على جدران معابدهم ومقابرهم ، وتركوا ملفات البردى حافلة بآدابهم وقصصهم وأدعيتهم الدينية . ويرجع الفضل الاكبر فى بقاء هذه الآثار حتى اليوم الى الجفاف الذى امتاز به مناخ البلاد .

غير مسوّر

حجر رشيد

ولكن وجود هذه الآثار وما عليها من نقوش وكتابات لا يجدى نفعا مع جهلنا اللغة الهيروغليفية التى كان يكتب بها المصريون القدماء ، ولذا ظل تاريخهم مجهولا وبقيت كتاباتهم طلاسم لا يمكن الانتفاع بها حتى جاءت الحملة الفرنسية على مصر وعثر (بوسار) أحد ضباطها سنة ١٧٩٨ على حجر هام عند رشيد يرجع تاريخه إلى عهد البطالسة ، وعليه عبارة مكتوبة بثلاث لغات (ا) الهيروغليفية ، وهى لغة الكتابة عند المصريين (ب) الديموطيقية ، وهى لغة التخاطب العامية (جـ) اللغة الاغريقية .

وبمقارنة أسماء الاعلام في اللغات الثلاث تمكن « شامبليون » العالم الفرنسى من حل رموز اللغة المصرية القديمة فى أوائل القرن

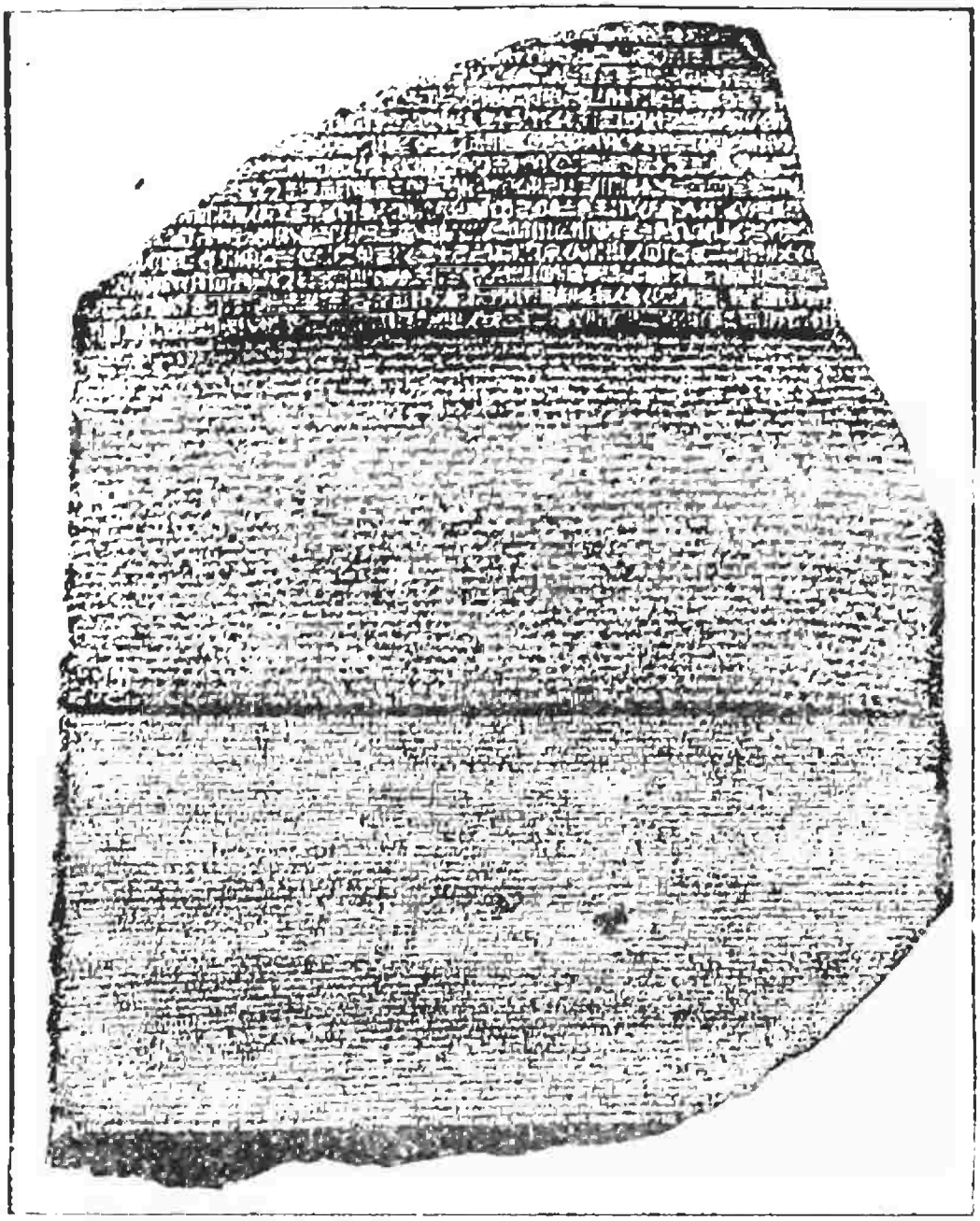

(حجر رشيد)

هو كتلة من البازلت الأسود طولها ثلاثة أمتار وتسع سنتيمترات وعرضها متر وأربع وستون سنتيمترا وصف عليه مرسوم أصدره الكهنة المصريون تكريما للملك بطليموس الخامس ترجمه اليونان من حكمه (١٩٦ ق . م .) والمرسوم مكتوب بثلاث لغات تقع في ١٤ سطرا باللغة الهيروغليفية و ٣٢ سطرا بالديموطيقية و ٥٤ سطرا باليونانية . عثر عليه (بوسار — *Boussard*) أحد ضباط الحملة في الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ قرب رشيد ثم صار إلى المعهد المصري أعضاء المجمع العلمي عام ١٧٩٩ . وفي سنة ١٨٠١ استولى عليه الانجليز وأخذوه إلى انجلترا وهو لا يزال حتى اليوم محفوظا بالمتحف البريطاني في لندن تحت رقم ٣٢ .

التاسع عشر ، وبذا ألقى ضوءا جديد على تاريخ الفراعنة .

(٢) المؤرخون

وكتب عن مصر كثير من المؤرخين القدماء أهمهم هيرودوت وديودور ومانيثون واسترابو .

هيرودوت ابو التاريخ

ولد « هيرودوت » المؤرخ الأغريقي عام ٤٨٤ ق . م . وطاف أوروبا وآسيا وأفريقيا وأخيرا مات فى ايطاليا . وترجع شهرته العظيمة إلى كتاب ألفه فى التاريخ القديم ، وينقسم تاريخه هذا إلى قسمين : « ١ » معلومات كتبها بنفسه وبناها على مشاهداته الخاصة وهذه تعتبر حجة فى الرواية والصدق ، لأن الآثار التي كشف عنها المنقبون فى كثير من جهات العالم القديم جاءت مصدقة لما بين أيدينا من كتاباته « ٢ » معلومات سمعها أو نقلها عن الكهنة والعامة وهذه لا يصح الاعتماد عليها .

ديودور

أما (ديودور) فمؤرخ صقلى عاصر يوليوس قيصر وأغسطس فى القرن الأول الميلادى ، طاف معظم أنحاء العالم القديم ، وترتكز شهرته على مؤلفه الذى أسماه (المكتبة التاريخية) . تناول فيه الكلام عن التاريخ العام منذ بدايته حتى عهد قيصر ، ويقع فى أربعين كتابا وصل إلينا منها خمسة عشر كتابا ، وهذا المؤلف لا يصح الاعتماد عليه كمرجع تاريخى صحيح .

مانيثون

وكان (مانيثون) أمينا للسجلات المصرية فى عهد (بطليموس الثاني) وهو من الكهنة العظام الذين تشبعوا بالثقافة الاغريقية ، أمره (بطليموس) أن يكتب تاريخ مصر فاستعان بالسجلات والمخطوطات المحفوظة فى المعابد وكتب كتابا قيما قسم فيه تاريخ

مصر إلي أسرات بدأها بالملك (مينا) وتقسيمه هو الأساس الذى بنى عليه المؤرخون المحدثون كتابتهم عن مصر .

ولم يصل الينا من هذا الكتاب إلا الفهارس الخاصة بتتابع الاسرات ، أما الكتاب نفسه فقد ضاع ، وكتابة (مانيثون) تمتاز بالدقة وتمحيص الحقائق التاريخية .

ايراتو

أما استرابو فهو مؤرخ إغريقى عاش فى روما ومات عام ٢٤ ميلادية . بعد أن طاف بلاداً كثيرة منها مصر ، وكتب تاريخه فى ٤٣ كتابا فقدت كلها ، وبرغم أن كتابته طلية شائقة فانه لا يصح الاعتماد عليها من الوجهة التاريخية .

هورس
Horus

هو الشمس المشرقة ، ويمثلونه أيضا برأس صقر ، أبوه أوزيريس وأمه أيزيس ، ويطلقون عليه (الآخذ بثأر أبيه) لأنه ظل يحارب (ست) قاتل والده حتى هزمه ، وهو يلبس هنا تاج القطرين

رع
Ra

هو إله الشمس ، يصورونه على شكل أسد أو قط أو صقر وعلى رأسه قرص الشمس وفى مقدمة القرص رأس ثعبان ، ويعتقدون أنه اثناء الليل يقاتل الشياطين فينتصر ويشرق فى الصباح كل يوم

٢ — أثر العوامل الطبيعية فى حضارة مصر

الزراعة

مصر كما يقول هيرودوت « هبة النيل » وهذا معناه أن كيانها الاقتصادى قائم على أساس الرى والزراعة ، ولولا النيل لكانت جزءا من الصحراء التى تحف بجانبيها من الشرق والغرب ، فالنيل هو الذى جعل سكان مصر يتركون عيشة التجول والصيد ويستقرون ويفكرون فى فلاحة الأرض وتربية الماشية وردم الأحراش والمستنقعات التى كانت تعم الدلتا فى عصور ما قبل التاريخ ، أضف إلى هذا ما تمتاز به أرض مصر من الخصب وما أودع فى مناخها من الصلاحية للزراعة والحياة المستقرة .

ية الطبيعية

ويجب ألاَّ ننسى أن مصر تحميها حماية طبيعية ، لأن وجود البحر فى شمالها والصحراء على حافتيها والجنادل جنوبها جعل من الصعب غزوها ، ولذا تركت هادئة تسير فى سبيل الرقي دون أن يعوق تقدمها عائق خارجى .

سيم السياسى

ولما كانت مصر شريطا ضيقا من الأرض ممتدا على جانبي النيل فقد صعب فى عصور ما قبل التاريخ وجود حكومة مركزية تحكم مصر كلها ، ونشأت حكومات ملكية صغيرة أشبه بالمديريات أو المراكز الآن ، ويقول بعض المؤرخين إن هذه الأقسام كانت فى وقت ما أكثر من مائتين ، ولكنها اندمجت بالتدريج حتى تكوَّن منها القطران مصر العليا ومصر السفلى ، وأخيراً توحَّد القطران

كان المصريون يسمون النيل حاب أو حابى ، وكانوا يتصورون أن هناك نيلين أحدهما للصعيد والآخر للدلتا ، يمثل كل واحد منهما آله خاص له جسم إنسان يحمل على رأسه زهرة الاقليم الذى يجرى فيه . فزهرة البردى تمثل الدلتا وزهرة اللوتس تمثل الصعيد وكان يلون أحد المعبودين على الآثار باللون الاحمر والآخر باللون الازرق المائل للخضرة وكان يظن أن هذه الالوان لها علاقة بلون ماء النيل بعد الفيضان وقبله .

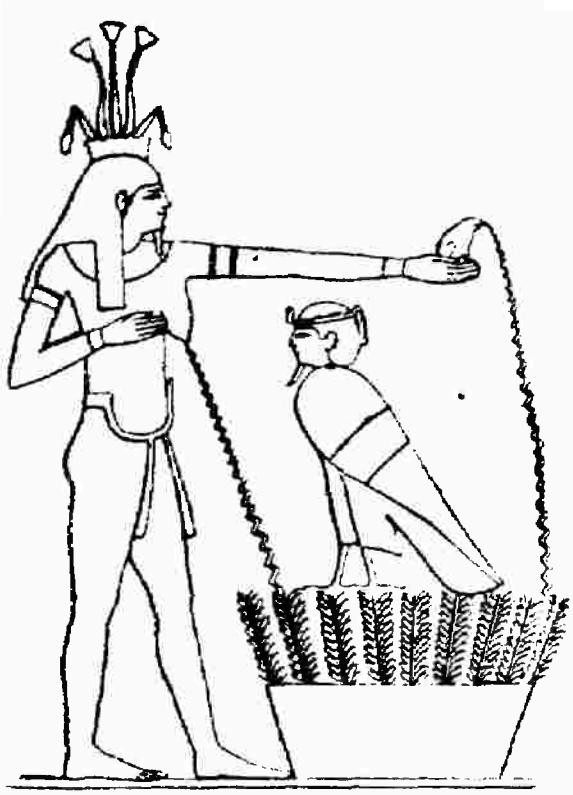

(إله النيل يصب الماء على روح اوزيريس)

يظهر أن قدماء المصريين لم تكن لديهم معلومات وافية عن منابع النيل وكانوا يعتقدون فى العصور الاخيرة أنه ينبع من الارض التى بين الجبلين الواقعة بين جزيرة الفنتين وجزيرة فيله ، وهذا الرسم الجميل الذى تراه إلى اليسار وجد محفوراً على حائط معبد فيله ، ويحاول فيه المصريون تصوير منبع « النيل » وفى الرسم كتل من الاحجار فى أعلاها النمر والصقر وتحتها إله النيل راكعا وقد وضع على رأسه حزمة من زهر البردى وأمسك فى يديه إناءين يصب الماء منهما وقد التف حوله ثعبان هائل .

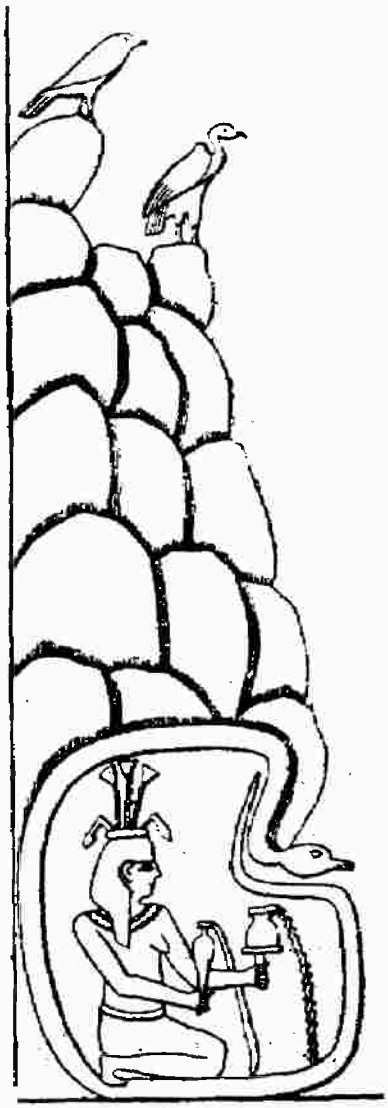

(منبع النيل)

وحكمها الملك (مينا) فرعون الأرضين .

التقسيم الاجتماعى

ولما كانت البلاد فى أول أمرها مقسمة إلى الممالك الصغيرة التي ذكرناها ، وكانت كل مملكة ترغب فى تقوية نفسها بحيث تفوق جاراتها ، نشأ من هذه الناحية تقسيم اجتماعى وشعور بالمنافسة ، ومن مظاهر ذلك أن كان لكل مملكة صغيرة عاداتها وأنظمتها ، وكان يحمل كل قارب فى النيل راية تمثل المقاطعة التي ينتمى إليها ، ولكن التعارف الذى بدأ يزداد بين هذه الاقسام عن طريق التجارة النيلية دمجها فى بعضها ، ويلاحظ أن التعصب بقى زمنا طويلا حتى بعد توحيد القطرين ، إذ بقيت لأهل الصعيد عاداتهم ولهجتهم التى كانت تخالف من وجوه كثيرة ما لأهل الشمال ، ولا نغالى إذا قلنا إن هذه الروح لا تزال باقية حتي اليوم الى درجة محدودة .

الصناعات

ولم تكن حضارة مصر زراعية محضة لأن الزراعة كما قلنا لابد وأن تجر فى أذيالها الكثير من الصناعات اللازمة لها ، أضف الى هذا أن وجود الأحجار علي اختلاف أنواعها فى مصر جعل المصريين يحفرون التماثيل ويقيمون المبانى العظيمة ، ونظرا لجفاف المناخ بقيت هذه الآثار حتى اليوم ، وكان وجود النحاس فى سينا والذهب فى بلاد النوبة مما شجع المصريين على صنع الآنية الجميلة والحلى الدقيقة .

التأثيرات الخارجية

وبرغم حماية مصر الطبيعية فان موقعها ساعد على الاتصال بشعوب أوروبا وآسيا وسكان الصحراء المحيطة بها ، وقد وجد الباحثون أن الكتابة المصرية بها أوضاع من الكتابة الصورية

الأسيوية . ثم وجدت بها كذلك عنصر تشبه كتابة سكان الصحراء ولذا يرجح بعض المؤرخين أن الشعب المصرى خليط من الساميين وأهل الصحراء الذين جلبوا مصر الحضارة . ولكن بعض المؤرخين لا يقرّ ذلك ويؤكد أن حضارة مصر إنما قامت فى وادى النيل ولم تجلب من الخارج .

وما كان اتصال مصر بدول غربها وجنوبها وشرقها إلا عن طريق الدلتا . فإن بعض المؤرخين يؤكد أن الدلتا كانت قبل التاريخ أكثر تحضراً من الصعيد .

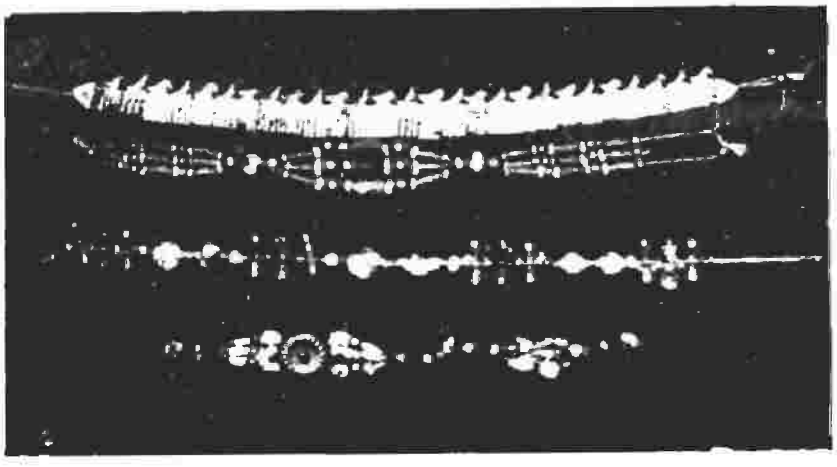

حلى لأحدى ملكات الأسرة الأولى عثر عليها فى أبيدوس

٣ – الأسرات الثلاث الأولى

حادث التوحيد

يبدأ التاريخ المصرى (بالملك مينا) وهو أول فرعون حكم القطرين بعد توحيدهما ، ويعتبر حادث التوحيد انتصاراً لمصر العليا على الدلتا ، لاسيما وقد عثرنا على الآثار التى تثبت ذلك الحادث فى الصعيد .

ملك القطرين

ولما كان المصريون القدماء محافظين على القديم فانهم ظلوا بعد حادث التوحيد يلقبون فرعون (بملك الأرضين) ويضعون على التاج زهرتين تمثل إحداهما الجنوب وتمثل الأخرى الدلتا .

لوحة هيراقنبوليس

وأقدم آثار ذلك العصر لوحة عثر عليها فى مدينة (هيراقنبوليس) التى كانت العاصمة القديمة للصعيد قبل التوحيد لا تزال حتى اليوم فى متحف القاهرة ، نقش على وجهها رسم يمثل (الملك نارمر) ملك الصعيد وقد لبس تاج الدلتا الأحمر وخرج وأمامه الأعلام كى يشهد الحرب ويستعرض جثث العدو التى فصلت عنها رؤوسها ، وفى أسفل اللوحة رسم يمثل الملك عجلا قوياً يهدم حصون العدو .

أما ظهر اللوحة فعليه رسم يمثل (مينا) ملك الجنوب وقد انتصر على ملك الشمال . ويظهر (مينا) وقد لبس تاج الصعيد الأبيض وقبض بيسراه على ناصية أحد الأسرى وأمسك بيمناه صولجاناً ذا رأس تشبه الكمثرى هو لا شك من نوع الحراب التى

لوحة هيراقنبوليس

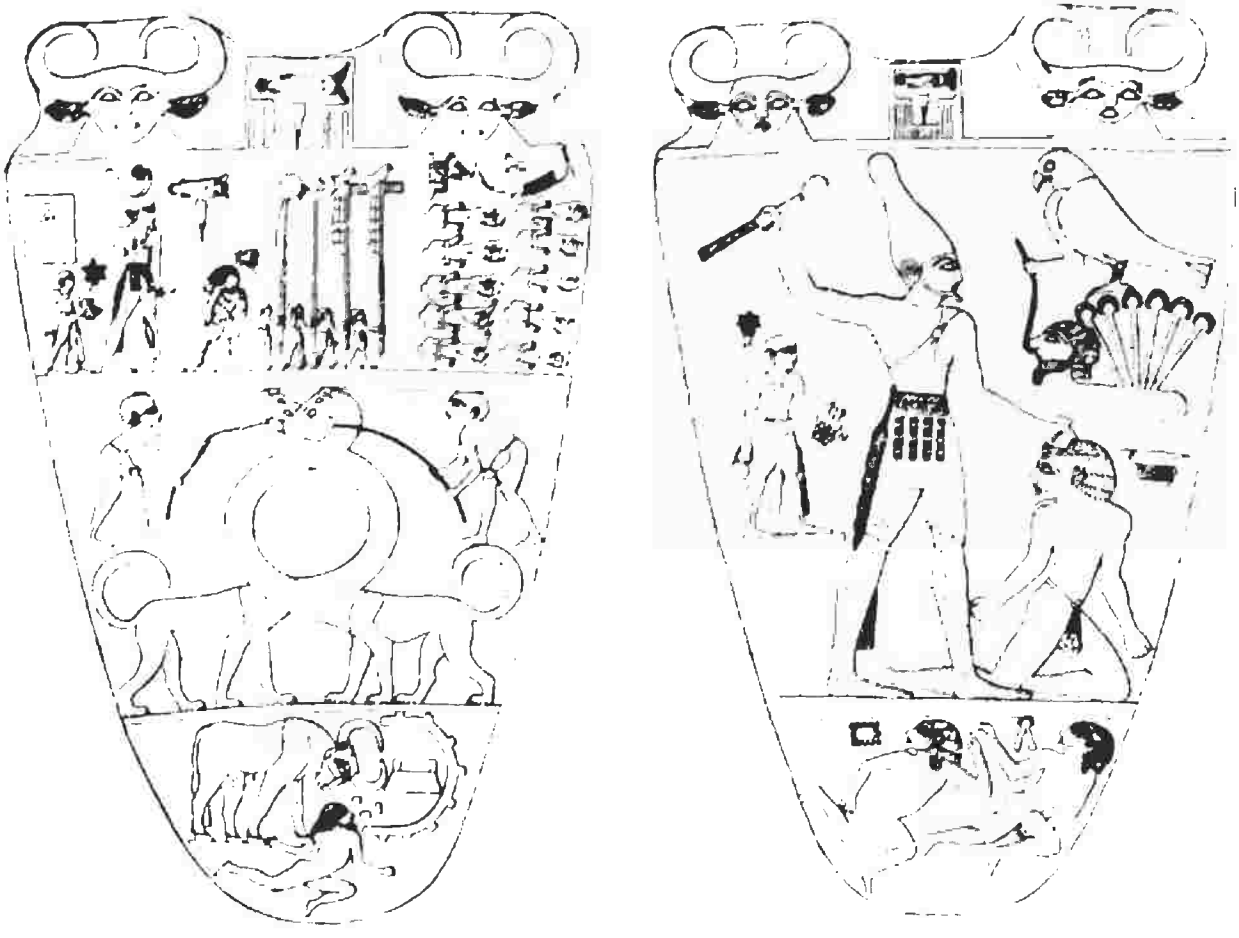

« الظهر » « الوجه »

وطول كل منهما فى الأصل ٦٣ سنتيمترا

برغم أن هذه اللوحة تدل على أن حادث التوحيد انتصار لمصر العليا على الدلتا فان المؤرخين المحدثين مثل الأستاذ (وادل — *Waddle*) والاستاذ (ويجال — *Wegal*) يرون أن الملك (مينا) ليس مصريا وإنما هو سومرى جاء بجيش كثيف من بلاد النهرين عن طريق البحر الاحمر ثم نزل مصر وسار فى طريق الصحراء حتى وصل إلى النيل عند مدينة قفط القديمة واستطاع الاستيلاء على الصعيد ثم تقدم شمالا واستولى على الدلتا وجلس على عرش البلاد الموحدة . وهذا معناه أن الحضارة المصرية تأثرت فى فجر التاريخ بحضارة الغزاة السومريين .

كانت تستخدم فى ذلك الوقت .

استنتاج

ويمكن أن نستنتج من دراسة هذه اللوحة أن حادث التوحيد لم يتم على يد (مينا) وحده ولكن جاهد أسلافه فى سبيل التوحيد ، أما (مينا) فكان أول فرعون جلس على عرش البلاد الموحدة .

حضارة عصر التوحيد

وكان المصريون فى عصر التوحيد قد تعلموا الزراعة وتركوا حياة التجول والصيد وتعلموا تربية الماشية ، وكانوا يعيشون فى بيوت من اللبن ويصنعون القوارب من الخشب والبَرْدى ، وكان لديهم كثير من العاج وقليل من النحاس والذهب لصناعة الحلى ، ويمتاز ذلك العصر بتقدم فى صناعة الأوانى الخزفية وبعض الأدوات المصنوعة من حجر الصَّوَّان ، وبرغم أنهم كانوا فى فجر تاريخهم فانهم اتقنوا صناعة هذه الأدوات الحجرية الدقيقة ، وكانوا قد بدأوا ينظمون مياه الفيضان ويوزعونها بما يعود عليهم بالفائدة ، أضف الى هذا نبوغهم فى نسج الكتان من الخيوط الدقيقة ، ثم إنهم بدأوا فى ذلك الوقت يستعملون الكتابة الصورية ، وتدل النقوش التى عثر عليها المنقبون على جدران المعابد أن مدناً هامة نشأت قرب (قُفط) فى الوجه القبلى (وطينة) التى موقعها جرجا الحالية ، والتى يقول المؤرخون إنها مهد ملوك الاسرتين الأولى والثانية ، وكان يعتقد المصريون أن الاله (أوزيريس) قد دفن إلى ناحية الغرب من (طينة) وكان معبده هناك أقدس بقعة فى البلاد كلها .

الدلتا

أما الوجه البحرى فأخباره غامضة ولا نعرف منها أكثر من

أن العاصمة قبل التوحيد كانت مدينة (بيتو) وأن معبد (رع) فى (هليوبوليس) كان أقدس بقعة فى الدلتا .

منف

وأسس (مينا) الملك الطينى عاصمة جديدة عند ملتقى القطرين على بعد أميال قليلة جنوب القاهرة الحالية أسماها (منف) وبنشوئها أصبحت عبادة (بتاح) الاله المحلى بها عبادة عامة وعظم شأنه وأحاطت المبانى العظيمة بذلك المكان الجديد ، وبرغم أن منف كانت عاصمة ومقراً للملك منذ حادث التوحيد فانها ظلت قرونا عديدة لا يدفن فيها الملوك ، فمثلا ملوك الأسرتين الأولى والثانية كانت مدافنهم فى أبيدوس على شكل مصاطب هائلة .

آثار الاسرة الاولى

ومن آثار الأسرة الأولى حلى جميلة لاحدى ملكاتها وجدت بقبرها فى أبيدوس ، وهى تدل على دقة فائقة فى صناعة الحلى المعدنية ،

مقبرة حماكا

وعثرت بعثة المستر امرى فى سقارة على مقبرة (حما كا) أحد وزراء الملك (دن) من ملوك الأسرة الأولى ، وهى مشيدة من قوالب اللبن ، ومقسمة إلى ٤٢ قسما تحوى الكثير من الأوانى والسكاكين والسهام التى كانت تستخدم فى ذلك العصر السحيق .

قبور أخرى

ومن دواعى الغبطة أن بعثة الجامعة المصرية فى سقارة كشفت في ديسمبر ١٩٣٦ عن قبور من الأسرة الأولى وجدت بها بعض المومياات ، وبذلك وقفنا على كثير من المعلومات عن طرائق الدفن فى الاسرة الأولى ، وأهم ما يلفت النظر فى هذا أن الميت كان بعد تكفينه يوضع فى سلة أو صندوق مكعب من الخشب وهو جالس القرفصاء وذلك بأن يثنى فخذاه بحيث تصل الركبتان إلى مقابل

الوجه ، وعثرت البعثة كذلك على آنية جميلة من المرمر ومركب من العاج يعتبر نموذجاً لمراكب الصيد في ذلك العهد ، وكانت تصنع من حزم مؤلفة من سيقان البردى تشد إلى بعضها بطريقة الربط بالحبال من الوسط والطرفين ، وعثر كذلك على مجموعة هامة من العظام والأقمشة التى تدل على رقى عظيم فى نسج الكتان من الخيوط الدقيقة

الماتيكور

ولعل أعجب مافي هذه الاكتشافات أن أطراف الأنامل فى بعض الجثث قد طليت بمادة ذهبية اللون ، وهذا لا ريب دليل على أن المصريين كانوا أول الشعوب تفكيرا فى (الماتيكور) أوتلوين الأظافر الذي يعتبر من أحدث مبتكرات الغرب فى فنون الزينة والتجمل .

استنتاج

والعثور على هذه المقابر المتوغلة فى القدم يجعلنا نرجح الرأى القائل بأن الحضارة المصرية نشأت فى مصر ولم تجلب من الخارج مع الغزاة الأجانب .

الأسر الثالثة

وبانتقال القبور إلى منف فى عهد الأسرة الثالثة تقدمت البلاد تقدما عظيما ، وتجلت مقدرة الصانع المصرى فى إتقان الأوانى المعدنية وحفر الأحجار والتفنن فى تزيين المقابر .

ام الصناعات

بدأت صناعة الحلي النحاسية من الأسرة الأولى ولكنها تقدمت فى عهد الأسرة الثالثة تقدما عظيما وظهرت قطع أخرى من العاج مثل الامشاط والملاعق المحفوظة فى متحف القاهرة ، وعثر فى قبر (هسى) بسقارة على آثار تدل على رقى فى صناعة الأثاث والنجارة

جثة من قبور الاسرة الاولى في (سقارة)

جثة أخرى ومعها آنية من الفخار

قطعتان من أنفس الآنية المرمرية من مقابر الاسرة الاولى
فى (سقارة)

هرم زوسر المدرج

وأهم شيء فى حضارة الأسرة الثالثة الانتقال من بناء المقابر على شكل مصاطب والتدرج بها إلى فكرة الاهرام .

ومن أهم آثار الأسرة الثالثة هرم (زوسر) أول ملوكها فى سقارة ، وهو مكون من ست مصاطب فوق بعضها بشكل مدرج ينتهى من أعلى بمصطبة صغيرة . وهذا الهرم أقدم بناء من الحجر فى التاريخ القديم ، ويرجع الفضل فى إقامته إلى المهندس المصرى القدير (إمحتب) الذى أشرف أيضا على تشييد المعبد ذى العمد الذى لا تزال بقاياه قائمة حتى الآن إلى جوار هرم زوسر بسقارة .

وزوسر مقبرة أخرى لم تتم قرب زاوية العريان أو واقعة جنوب أهرام الجيزة على مسيرة ساعة فى طريق سقارة . ونستدل من قطع البلورانيت الضخمة التى بنيت منها جدران المقبرة على مقدار ما وصل إليه فن البناء من التقدم العظيم فى عهد الأسرة الثالثة .

وخلاصة القول أن حضارة الأسرة الثالثة كانت ممهدة للرقى الفنى العظيم فى عهد الأسرة الرابعة .

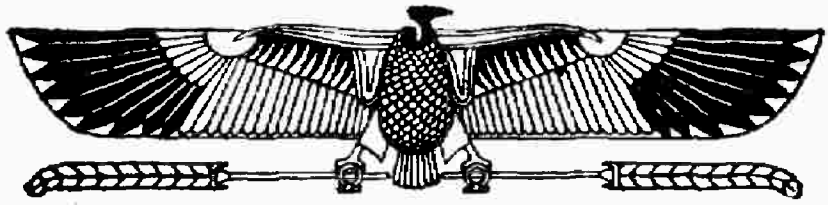

٤ – تدرج المقبرة

تمهيد

فى عهد الأسرات الثلاث الأولى كان الملوك وكبار ملاك الأرض على جانب عظيم من القوة والثراء ، فقد أثبت التنقيب أن الرجل الغنى كان يملأ بيته بالتحف والنفائس المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة ، ولكنه كان يعيش فى بيت مبنى من قوالب اللبن المجفف فى الشمس ، ومعنى هذا أنه لم يشيد بيته ليعمر طويلا .

المقابر

فاذا كان المصرى قد بنى بيته هكذا ، فكيف يبنى قبره من الأحجار الجيرية المقاومة ؟ وكيف ينفق فى سبيل تشييده مثل هذه النفقات الباهظة ؟

الحياة الآخرة

السر فى ذلك أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن الانسان بموته ينتقل إلى عالم آخر يحيا فيه الحياة الآخرة ، ولكنهم كانوا يعتقدون أن الروح التى أطلقوا عليها لفظ (كا) لا يمكن أن تعود الى جسد صاحبها إلا إذا كان سليما لم يصبه شيء من التلف ، وهذا جعلهم يهتمون بالتحنيط فيحولون جثة الميت بذلك إلي ما يسمى (المومياء) ثم توضع المومياء فى كفن متين جميل بقدر ما تسمح به ظروف الميت ، ثم تدفن أخيراً فى غرفة تحت الأرض .

وبزيادة الثروة ورغبة الناس فى بناء قبورهم وهم علي قيد الحياة كانت تبنى المقابر على شكل مصاطب كبيرة فوق سطح الأرض ، وإلى ناحية الشمال منها فتحة توصل إلى زلاقة منحدرة متصلة بغرفة

الميت ، فاذا مات صاحب القبر دفنوه وأوصدوا المدخل بكتلة من الحجر وغطوا عليه بالرمال .

متاع الميت

والأغرب من هذا كله هو اعتقادهم بأن الميت حين يبعث فى قبره يحتاج إلى ما كان يرغب فيه وهو على قيد الحياة الأولى ، فكانوا إذا حنطوا الجسد ودفنوه أحاطوه بصنوف المآكل والمشارب والحلى والملابس وكل ما كان يحبه الميت من متاع .

قبور قبل التاريخ

وقد مرّت قبور قدماء المصريين بأطوار مختلفة فكانت المقبرة قبل التاريخ حفرة تحت سطح الأرض توضع فيها الجثة ويقام عليها قبو يدل على مكانها ، ثم ارتقت فى ذلك العهد فرصفت حوائطها وأرضها بقوالب من اللبن المجفف فى الشمس وبنى عليها قبو من الخشب يجلس فيه أهل الميت لتقديم القرابين والهدايا .

الاسرتان الاولى والثانية

وفى عهد الأسرتين الأولى والثانية بنى القبو الخارجي من قوالب اللبن على شكل مصطبة وقسمت المقبرة السفلى إلى حجرات يوضع فيها متاع الميت ، ومن أمثلة ذلك مقابر أبيدوس وسقارة .

الاسرة الثالثة

وفى عهد الأسرة الثالثة حدث تغيير عظيم ، فقد بنى الملك (زوسر) هرمه المدرج بسقارة ، واستخدم الأحجار الجيرية بدل قوالب اللبن فكانت هذه خطوة واسعة فى سبيل تقدم فن البناء ، يضاف إلى هذا أنه نقل مكان الدفن من أبيدوس إلى سقارة .

وكان هرما (سنفرو) فى ميدوم ودهشور خطوة أخرى فى سبيل تدرج المقبرة ، ولذا اعتبرت الأسرة الثالثة بقبورها العظيمة ممهدة للرقى الفنى العظيم فى عهد الأسرة الرابعة .

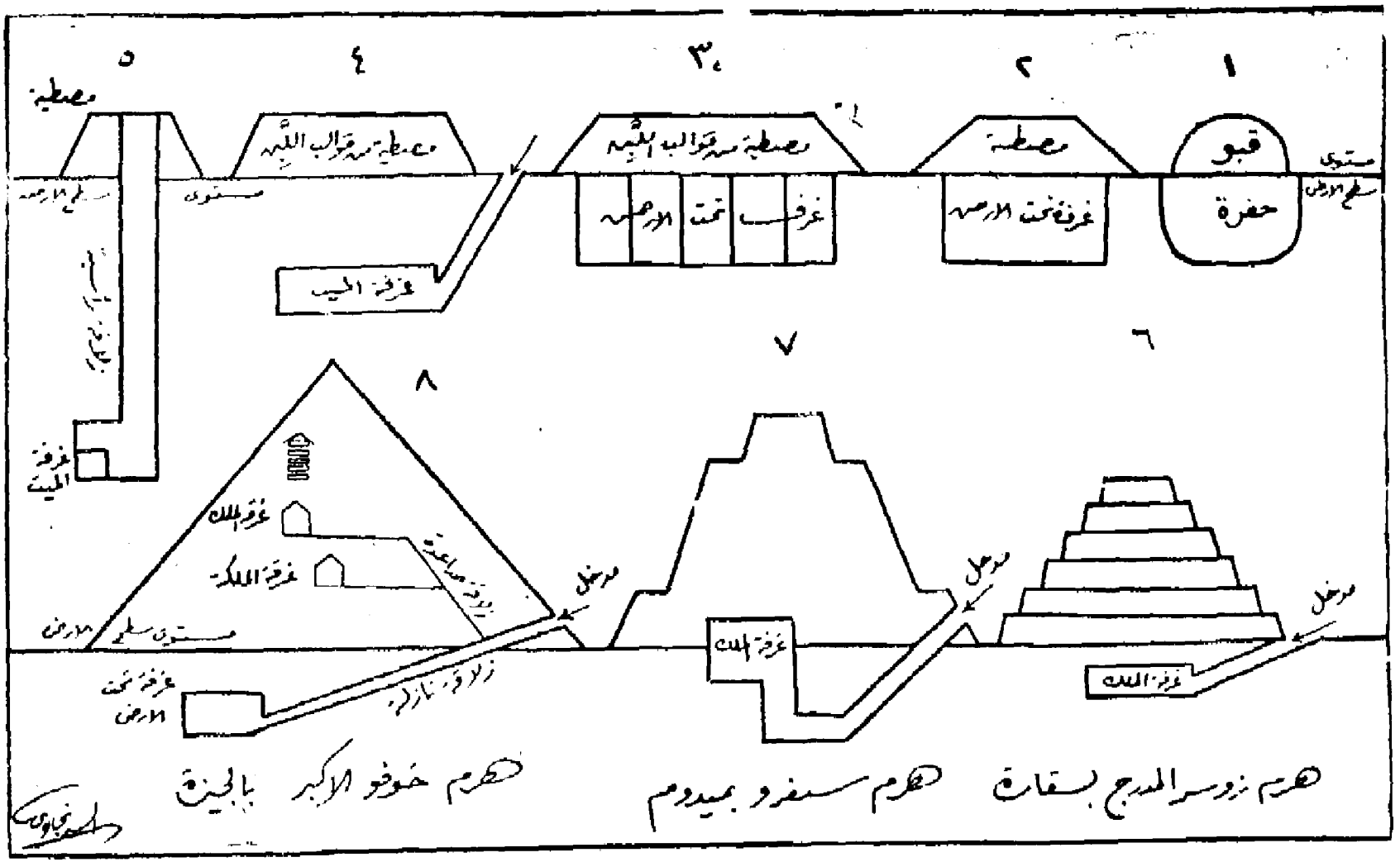

(تدرج المقبرة حتى الأسرة الرابعة)

الأسرة الرابعة

أما عهد الأسرة الرابعة فقد انتقلت فيه المقابر إلى شكل أهرام ضخمة صليت جدرانها من الخارج فأصبحت مصقولة ملساء كأنها قطعة واحدة . وهذا هو أقصى ما وصل اليه رقي المقبرة .

بناة الاهرام

ويسمى المؤرخون الفترة الممتدة من الأسرة الثالثة إلى الأسرة السادسة عصر بناة الاهرام .

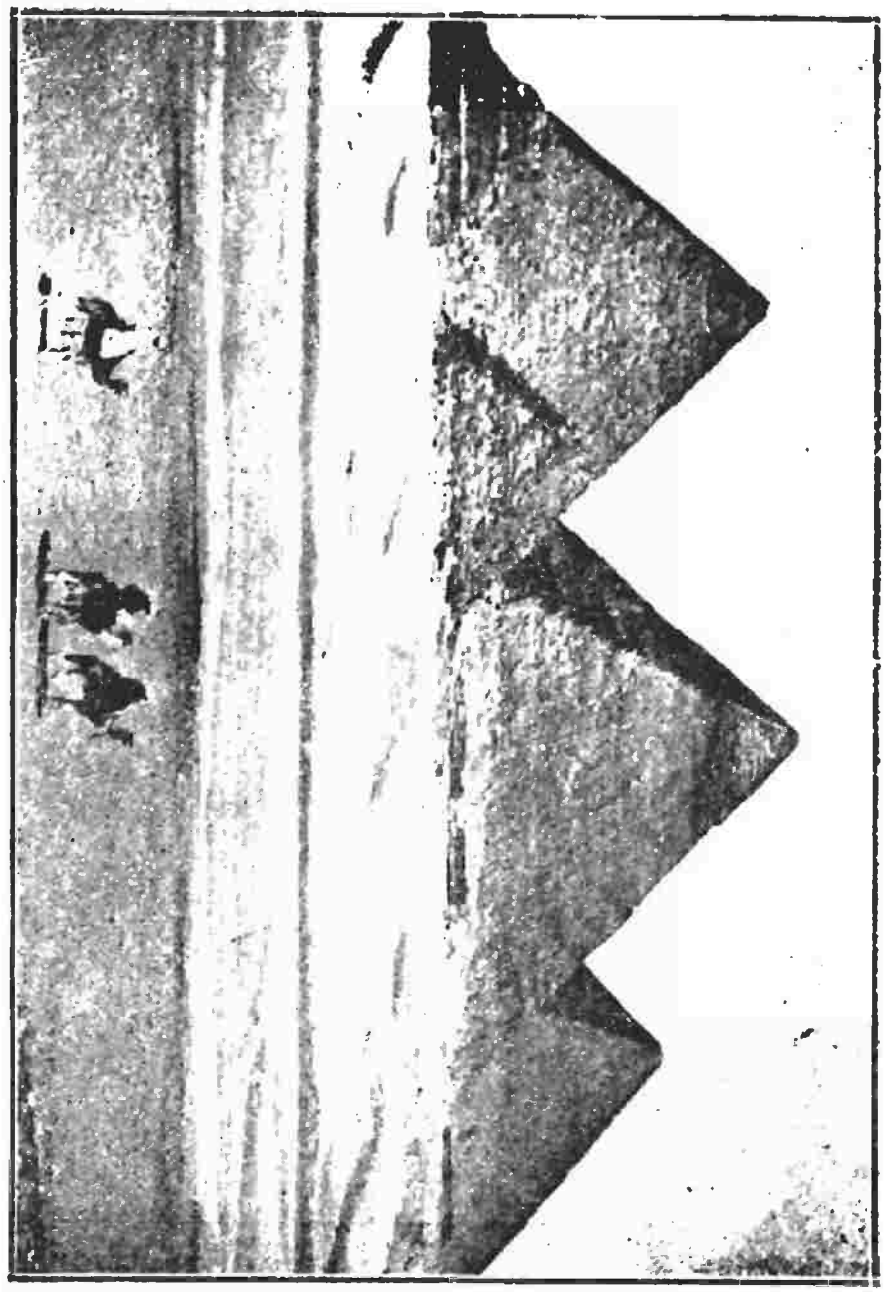

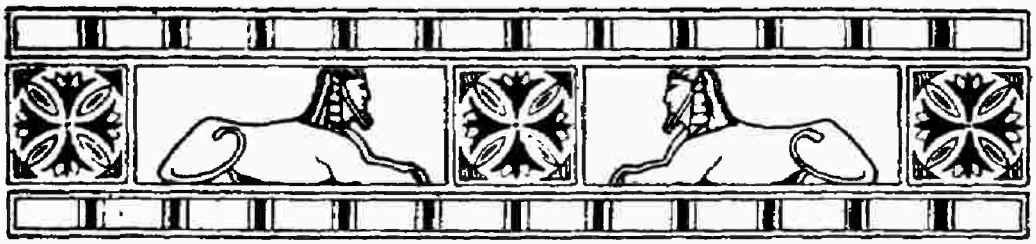

٥ — الأسرة الرابعة

سنفرو

(سنفرو) أول ملوك الأسرة الرابعة، وكل ما تركه لنا هذا الملك هرمان أحدهما فى دهشور والآخر فى ميدوم، وينسب إلى عصره نهضة عظيمة فى صناعة التماثيل، فقد عثر فى ميدوم على تمثالين للأميرة (نوفريت) وزوجها (رع حتب) يعدان من أبدع ما أخرج الفن المصرى القديم، ويعتبران فوق ذلك أقدم تماثيل العالم التى تمثل الأشخاص، وينسب إلى أوائل الأسرة الرابعة أيضا تمثال الكاتب المتربع المحفوظ فى متحف اللوفر بفرنسا وتمثال شيخ البلد المحفوظ فى متحف القاهرة.

هرم خوفو

والملك (خوفو) ثانى ملوك هذه الأسرة هو باني هرم الجيزة الأكبر الذى يعد من عجائب الدنيا السبع [1] روى (هيرودوت) أن (خوفو) استخدم فى بنائه مائة ألف عامل كانوا يعملون وقت الفيضان أى ثلاثة أشهر فى السنة ثم يستبدلون بغيرهم، وقال إنهم جهزوا أحجاره ومعداته فى عشر سنوات، ثم أقاموه فى عشرين سنة أخرى، والهرم مقام على مساحة من الأرض تبلغ ١٢ فدانا. وكان ارتفاعه وقت بنائه ١٤٥ متراً ثم تهدمت قمته العليا فأصبح ارتفاعه

---

(١) عجائب الدنيا السبع هى:

هرم خوفو، قصر لابرنت، منارة الاسكندرية، تمثال المعبودة ديانا، سور الصين العظيم، تمثال كبير الآلهة (زوس) المصنوع من الذهب، الحدائق المعلقة فى بابل

نوفريت
Nofret
زوجة
رع حتب
وإحدى
الأميرات
فى عهد
سنفرو

رع حتب
Ra-hetep
الكاهن
الأعظم فى
هليوبوليس
والقائد
الجيوش
سنفرو

تمثالان منحوتان فى كتلة واحدة من الحجر الجيرى ، وهم أقرب ما يكونان إلى الحياة ، عليهما ألوان زاهية وعيونهما مصنوعة من حجر الكوارتز (البلورى) ونستنتج من دراسة تمثال الأميرة مبلغ عناية المرأة المصرية بالتزين ولبس الشعور المستعارة المصففة بعناية فائقة ، ونستنتج أيضاً نبوغ المصريين فى صنع المنسوجات الرقيقة لأن ثوب الأميرة يبين عما تحته من أجزاء جسمها .

(تمثال من العاج للملك خوفو)

الآن ١٣٧ متراً . وهو مشيَّد من الأحجار الضخمة التى لا يقل وزن الواحد منها عن طنين ونصف طن وقد احتاج البناء إلى أكثر من ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ حجراً .

وفى داخل الهرم حجرة وجد فيها تابوت الملك فارغا . ولا يعرف بالضبط متى سرقت الجثة وبقية محتويات الحجرة . وفوق غرفة الملك خمس حجرات أخرى مفرغة من البناء كى تخفف الضغط عن غرفة الملك ، وهناك غرفة المسكة وكثير من السراديب والزلاقات وبئر يبلغ عمقها ٦٢ مترا .

آثار الأخرى

وكان إلى جوار الهرم معبد كبير لا تزال أنقاضه باقية . ولم يبق من التماثيل التى كانت تزين ذلك المعبد شىء . وكل ما يحفظ لنا ملامح ذلك الملك العظيم تمثال صغير من العاج عثر عليه المنقبون فى أبيدوس منذ أكثر من ثلاثين عاما . قال العالم الأثرى (بترى) عند ما رآه : « ليس لهذا الوجه نظير بين كافة الوجوه التى شهدناها سواء كانت مصرية أو إغريقية أو رومانية ، وأعظم رجال التاريخ مهما بلغت قوة إرادتهم فأن شخصياتهم تتضاءل فى حضرة الملك خوفو »

(تمثال الاله رع) المعروف بتمثال أبي الهول بعد أن أزيحت الرمال عن قاعدته

آثار خفرع

وبنى (خفرع) بن (خوفو) الهرم الأوسط بالجيزة وارتفاعه ١٣٧ مترا وهو أقل ضخامة من هرم والده .

ابو الهول او تمثال رع

وإلى جانب الهرم تمثال أبى الهول الذى يبلغ طوله ٤٦ مترا وارتفاعه ٢٠ مترا . وهو يمثل أسداً رابضاً له رأس انسان .

ولقد ظل ذلك التمثال الهائل لغزا لا يحل ولا يعرف المؤرخون ما يدل عليه حتى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ إذ كشف العالم الأثرى الكبير الدكتور سليم بك حسن وهو ينقب فى منطقة الأهرام عن لوحة تذكارية كبيرة من الحجر الجيرى ترجع الى عهد (امنحتب

لوحة امنحتب

الثانى » من ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، طولها أربعة أمتار وعرضها متران ونصف متر ، عليها كتابة تتألف من ٢٧ سطراً كلها واضحة جلية ، يقول فيها الملك امنحتب الثانى إنه كتبها تذكاراً لزيارته أهرام أجداده ، وتمثال الاله الاكبر (رع) اله الشمس المشرقة ، ولم يكن معروفا الى الآن اين تمثال رع ، ولكن وجد على هذه اللوحة رسم يمثل الملك أمنحتب أمام تمثال ابى الهول يقدم اليه شراب الآلهة ، مما يدل دلالة قاطعة على أن تمثال أبى الهول إنما صنع رمزاً للأله رع الذى كان معبود البلاد كلها فى عهد الأسرة الرابعة ، ونحن نرجح هنا أن ذلك التمثال قد حفر أيام الاسرة الرابعة لما كان للأله رع من الشأن العظيم فى ذلك الوقت ، حتى أن بعض الملوك كانوا يقرنون أسماءهم باسمه مثل خفرع ومنقرع .

وخفرع تمثال ضخم من البازلت نقل من معبد الوادى المجاور لأبى الهول وحفظ فى متحف القاهرة ، وأهم ما يلفت النظر فى معبد الوادى مواضع التماثيل الثلاثة والعشرين التي كانت تزين المعبد والتي لم يبق منها إلا التمثال الذى أشرنا إليه .

حفائر الجامعة

ولقد ظل تاريخ الدولة القديمة محوطا بالغموض وخاصة عهد الأسرات الأولي حتي وفق الاستاذ سليم بك حسن إلى كثير من الكشوف الأثرية الخطيرة التى ألقت ضوءاً قويا على هذه العصور السحيقة ، ولعل أهم ما توصل إليه سليم بك سنة ١٩٣٥ فى منطقة الأهرام كشف الطريق السفلى الذى يصل بين جبانة خوفو وجبانة خفرع مخترقاً الطريق العلوى ، ثم بعض المقابر فى الجبانتين .

ولكي تستطيع أن تعرف موقع الجبانتين ومواقع الآثار الأخرى انظر إلى الرسم. ترى أن هناك طريقاً علوياً يصل بين معبد حفرع الذي لا تزال أنقاضه باقية الى جوار هرمه على الهضبة وبين معبد الوادي الذي لا يزال قائما عند قدم أبي الهول. وكان على جانبي

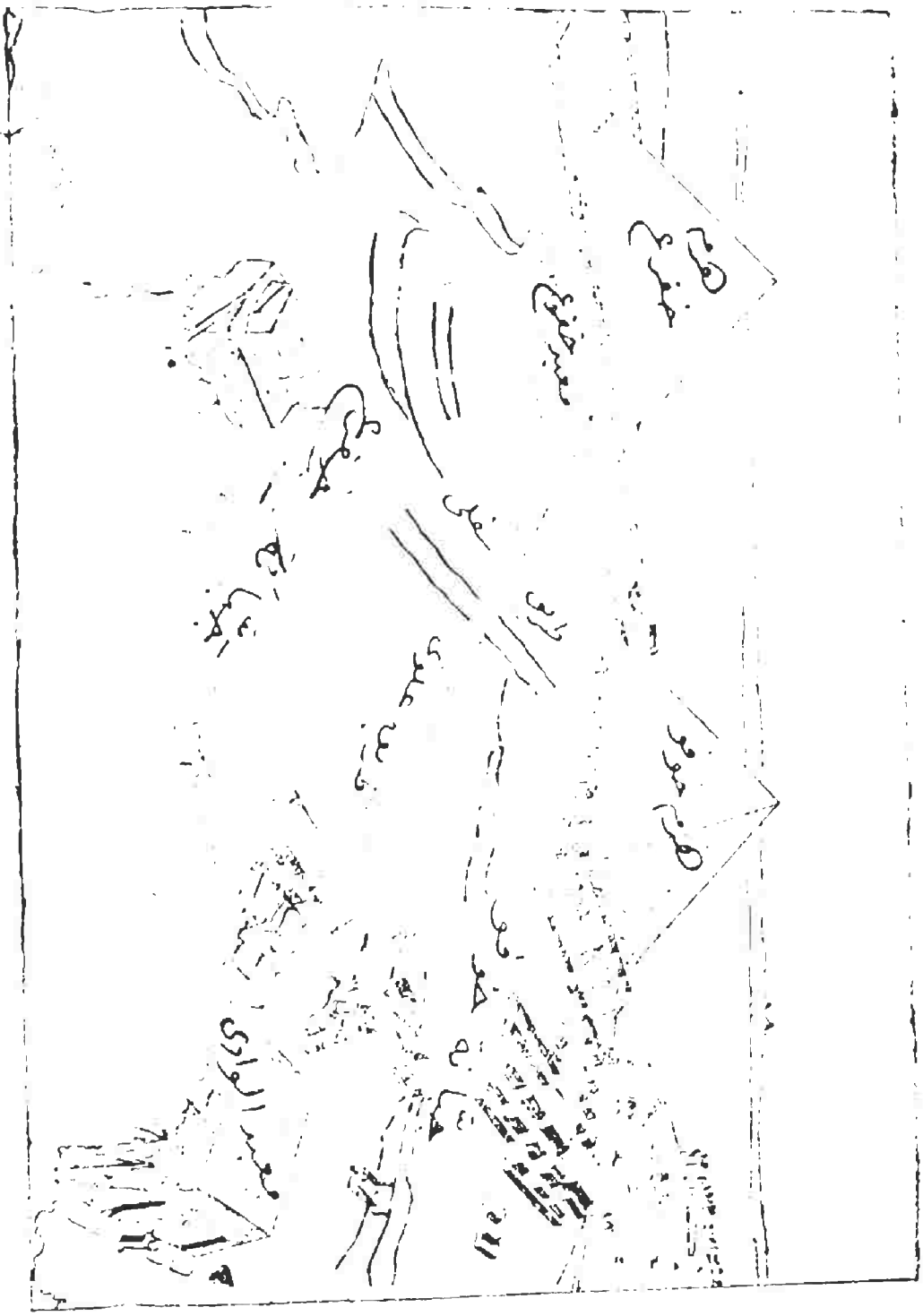

رأس تمثال
شيخ البلد
وهو مصنوع
من خشب
الجميز ومحفوظ
فى متحف
القاهرة

ذلك الطريق العلوى قديماً حائطان محولان بين جبانة خوفو وجبانة خفرع. وقد عمد قدماء المصريين إلى شق ممر سفلى عرضه متر واحد وارتفاعه ثمانية أقدام يصل الجبانتين وينفذ من تحت الطريق العلوى.

ويقول الدكتور سليم بك إن لديه أدلة مؤيدة تثبت أن ذلك الطريق العلوى أنشيء قبل إقامة تمثال أبى الهول والمعروف أن خفرع ثالث ملوك الأسرة الرابعة قد جلس على عرش مصر سنة ٢٦٥٠ ق.م. وأن أبا الهول قد نحت بعد ذلك بقليل. ويعتقد سليم بك أن أبا الهول حلقة من سلسلة منشآت عظيمة نرجو له التوفيق فى الكشف عنها قريباً بجهوده الجبارة. والحقيقة أن التنقيب عن معبد خفرع المجاور

لهرمه قد بدأ فى سنة ١٩٠٩ وقد وجد أن هذا المعبد متصل بمعبد الوادى بطريق علوى لم يصل المنقبون إلى كشفه تماماً، ولكن استطاع الدكتور سليم بك أن يوفق أخيراً إلى كشفه فأزاح عنه الرمال ووجد أن عرضه ٢٢ مترا وطوله ٤٥٠ مترا وأنه مرصوف من أحجار هذه الهضبة الجيرية .

الممر السفلى

أما الممر السفلى فيؤدى إلى قاعة مربعة طول ضلعها ثمانية أقدام وهي تؤدى إلي حجرة سفلى فسيحة فى وسطها فتحة أخرى تنتهي إلي بهو على جوانبه سبع حجرات بعضها يضم توابيت ضخمة من البازلت والجرانيت ، وفى إحدى هذه الحجرات فتحة ثالثة تنحدر إلى حجرة جانبية كان يغمرها ماء الفيضان وقت كشفها مما يدل على أن مستوى ماء النيل فى الفيضان قد ارتفع الآن عما كان عليه أيام الدولة القديمة . أما العمق الكلى لهذه السلسلة من المنحدرات فهو أكثر من أربعين مترا .

تمثال قديم

وعثر الدكتور سليم بك أثناء إزاحة الرمال عن الجزء الجنوبى من الممر السفلى على رأس تمثال بديع .

فى جبانة خفرع

واستطاع الدكتور سليم بك أن يكشف عن قبور كثيرة فى جبانة خفرع أهمها قبر ابنته الأميرة (رخت رع) ومعناها (إحدى معارف رع) وجدت ألقابها منقوشة على قبرها منها أنها كبرى بنات خفرع ، وبرغم أن هذه المقبرة قد سرقت قديماً إلا أن سليم بك عثر على بعض الآنية المصنوعة من الالبستر إلى جوار تابوت الأميرة المنحوت من الحجر الجيرى .

حفائر الجامعة فى هضبة الجيزة

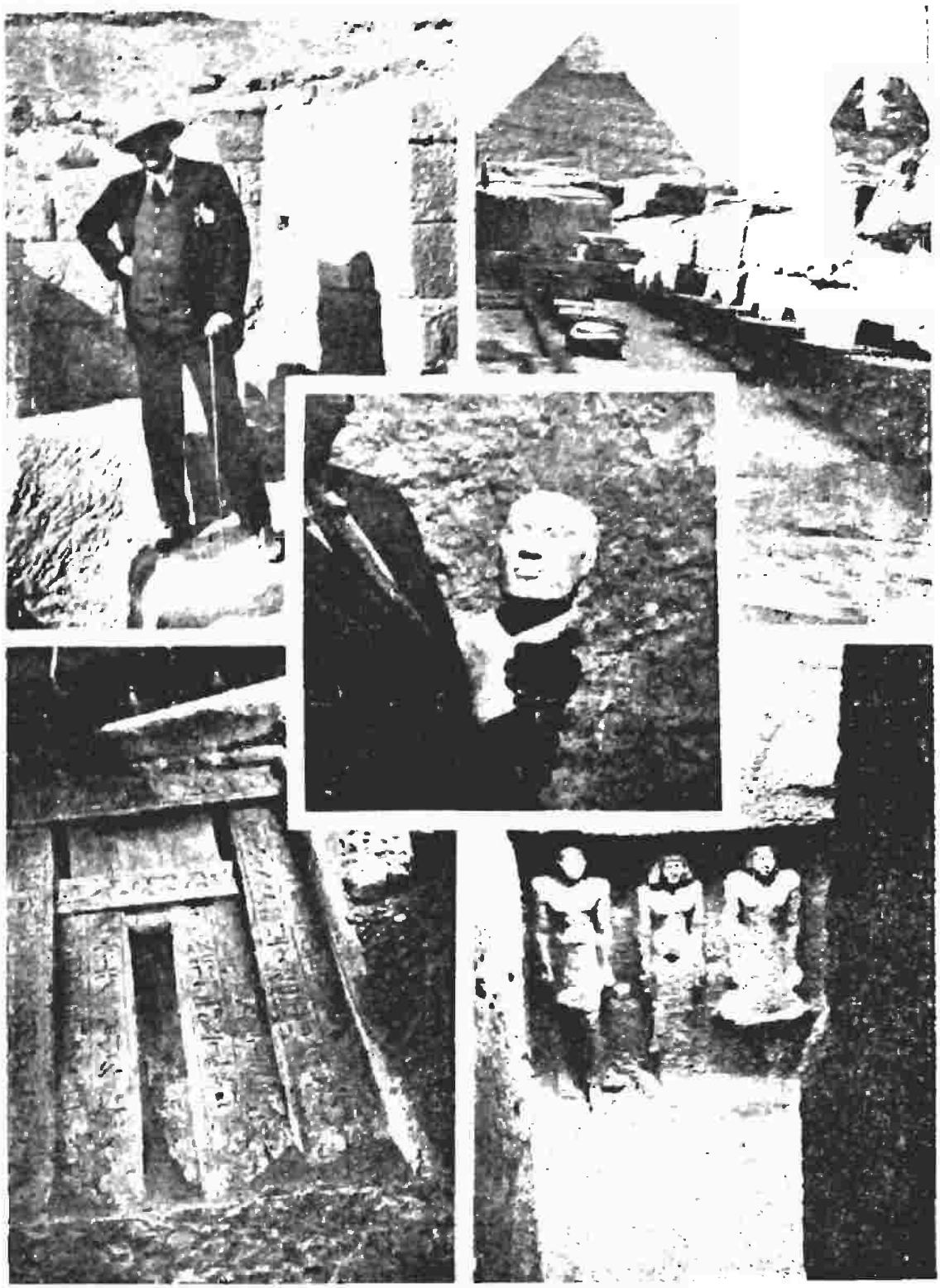

(١) الممر السفلى الذى يصل الجبانتين (٢) رأس تمثال عثر عليه فى إحدى قبور الممر السفلى (٣) الدكتور سليم بك حسن (٤) ثلاثة تماثيل من الحجر الرملى لأحد الكهنة وزوجه وأبنه الأكبر (٥) مقبرة فى الممر السفلى وعليها كتابة هيروغليفية

كا أم نفرت

وعثر على قبر كاهن هذه الأميرة وعلى حوائطه نقوش كثيرة تمثلها وتمثل الكاهن يطلق لها البخور ويؤدى بعض الطقوس الدينية .

مقبرة الاميرة بنت خفرع

ومن أهم آثار الأسرة الرابعة قبر كشف عنه الدكتور سليم بك حسن ومساعدوه فى شهر مارس سنة ١٩٣٦ ، وترتكز أهميته على أنه أول قبر من قبور هذه الأسرة كشف عنه قبل أن تمتد اليه أيدى اللصوص ، ولم يعثر على كتابة أو نقش يحمل أسم صاحبة القبر ، ولكن وجوده فى جبانة الملك خفرع بين قبرين من قبور أولاده يدل على أنه بنى لاحدى بناته ، وعثر داخل القبر علي تابوت من الحجر الجيرى عليه غطاء ثقيل ، وقد وضعت فوق الغطاء وسادة جميلة دقيقة الصنع من المرمر ، وتجاه التابوت رأس منحوت من الحجر يرشد الروح إلى مكان الجثة ، وعثر على هيكل عظمي لثور كبير قدم قربانا ، وعثر فى الجهة الشرقية من غرفة التابوت على أربعة عشر إناءً من الفخار ، ثم وجد فى الجهة القبلية منها قطعتان من حجر الصوان المصقول وثلاث وعشرون اناءً من النحاس .

التابوت والجثة

أما التابوت فطوله ثلاثة أمتار وعرضه متر وربع متر ، وهو منحوت من الحجر الجيرى الذى تتكون منه هضبة الاهرام ، ومن الصدف الجميلة أن الدكتور سليم بك وجد أن تابوت الاميرة لم يفض بعد ، فرفع غطاءه ولكنه وجده مملوءاً بالطين الذى جلبه السيل إلى هذه المنطقة العميقة ، وبذل الدكتور جهداً شاقا في سبيل إزالة الطين طبقة بعد أخرى حتى بدت له أخيرا جثة الأميرة متماسكة العظام مستلقية على ظهرها .

(رأس يرشد الروح إلى مكان الجسد)　　(وسادة من المرمر)

وفى أصابع اليد اليسرى للاميرة وجدت أصابع ذهبية على مثال حول الاميرة
أصابع القفاز، وحول وسطها حزام عريض على مثال الحزُم التى يستعملها النساء اليوم ولكنه مصنوع من النحاس المحوَّط بصفائح كثيفة من الذهب ، أما الساقان فيحيط بهما خَلخالان من الذهب الخالص ، وإلى جانب القدمين خف مصنوع من صفائح الذهب . وإلى جوار قبر الأميرة كشف عن قبر كاهنها المسمى « سى نى بوكا »

ويعد الكشف عن هذه المقبرة فتحا مبينا ونصراً عزيزاً فى أمة المقبرة
مضمار التنقيب ، إذ أنه يلقى على تاريخ الأسرة الرابعة وحضارتها ضوءا قويا . لأن كل المقابر التى كشفنا عنها من عهد هذه الأسرة وجدت مسروقة خالية من محتوياتها . ولعل السبب فى بقاء هذه المقبرة سليمة لم تمتد اليها يد اللصوص أنها فى مكان عميق وأن الرمال طغت عليها بعد أن دفنت صاحبتها بقليل ، وأن أحد اتباع صاحبة المقبرة قد دفن فى قبر

الكاتب المتربع عثر عليه سليم بك حسن فى حفائر الجيزة

عند مدخل مقبرتها فانصرف الذهن عن وجود مقبرة خلف هذا القبر الصغير .

قبور الأمراء عنخ مارا وأون رع

وعثر فى هذه الجبانة على قبور أبناء الملك ، وهى أقل أهمية من قبور الأميرتين ، يسمى أحدهم (عنخ مارا) وعلى جدران قبره ألقابه التى منها الوزير والقاضي والكاهن وأمين خزائن الوجه البحرى فى عهد والده . أما أخوه فاسمه الأمير (أون رع) أى (عمود الشمس) وجدت ألقابه على حوائط قبره ومنها كاهن والده ونساخ الكتاب المقدس لوالده والرفيق الوحيد لوالده ورئيس أسرار بيت التزين . وهو أيضا الوزير أو مدير الأشغال العمومية والقيودات .

ختوم باف

كما وجد قبر أمير آخر من أبناء خفرع يدعى (ختوم باف)

الذى كان مديرا للبلاط الملكى وسميراً للملك .

قبور الكهنة

وعثر على قبر كاهن يدعى (دواكا) على حوائطه نقوش جميلة له ولزوجه وأمامهما مائدة عليها أزهار جميلة وهما يشهدان الراقصات ويسمعان الانغام الموسيقية ، وعلى الحوائط رسوم بعض الحيوانات التى صيدت كالضباع والغزلان فى قيودها . وينوى الدكتور سليم بك أن يعد حملة قوية لغزو جبانة الملك خوفو ، ولعله يوفق إلي كشف ما فيها من الآثار .

هرم منقرع

وبنى (منقرع) بن (خفرع) هرم الجيزة الأصغر الذى يبلغ ارتفاعه ٦٢ مترا ، ولكنه لم يتمه فأتمته الملكة « نيتوكريس » من الأسرة السادسة ، وقد وجدت جثة « منقرع » داخل هرمه ونقلت إلى دار الآثار فى لندن .

الهرم الرابع

وفى فبراير سنة ١٩٣٢ كشف الدكتور سليم بك الهرم الرابع الذى يرجع تاريخه إلى أواخر الأسرة الرابعة ، وهو يقع شرق الهرم الثالث وعلي بعد ٢٥٠ مترا جنوب الهرم الأكبر فى التلال الواقعة بينه وبين أبى الهول ، وتبلغ مساحة قاعدته نحو ثلاثة آلاف متر مربع . أقامته الملكة (خنت كاوس) ملكة القطرين ، وهى أول مصرية حملت لقب الملكية فى الدولة القديمة .

ما تدل عليه الاهرام

وهذه الأهرام الضخمة لا شك أكبر شاهد على عظمة الملوك وقوتهم وتسيطرهم علي حكام الأقاليم الذين قدموا لهم ذلك العدد العظيم من الصناع للاشتغال فى أهرامهم ، ثم إن نظرة واحدة إلي ما تستلزمه هذه الأبنية الهائلة من النفقات يجعلنا نستخلص أن خزانة

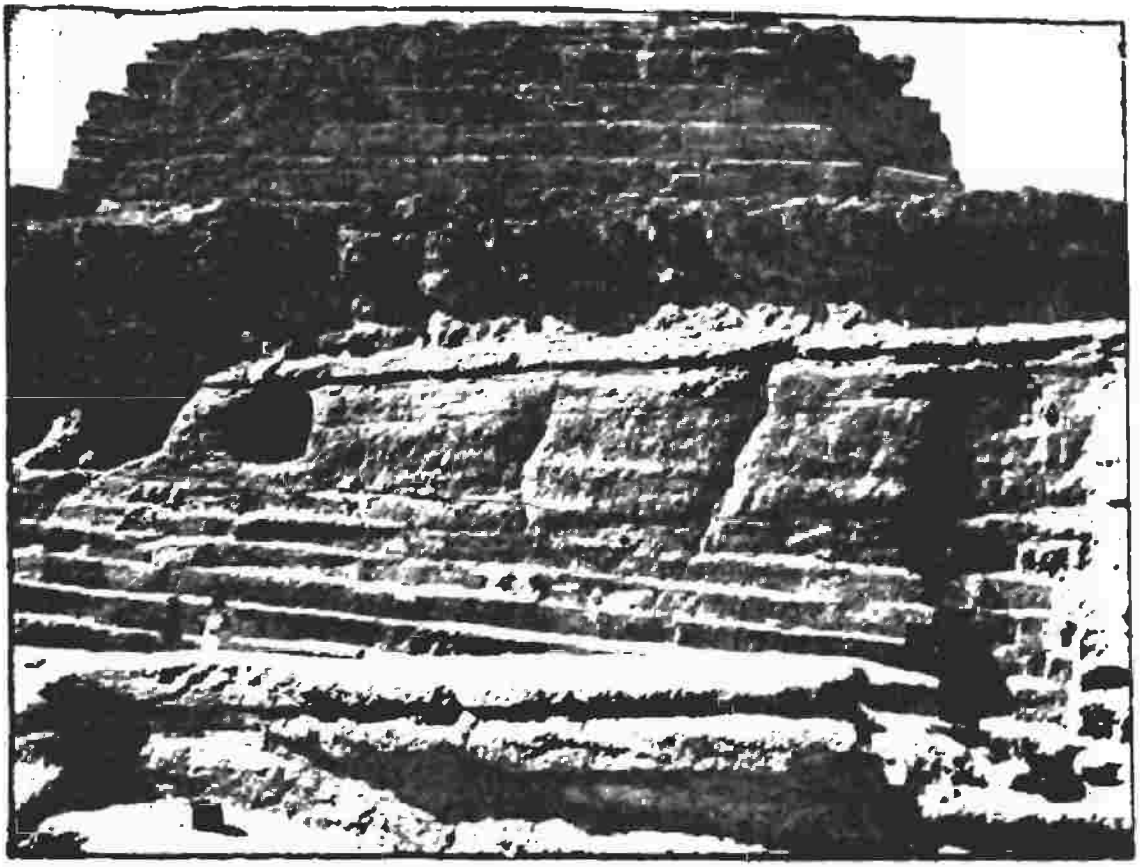

« الهرم الرابع »

بعد كشف الرمال عنه كما يرى من الجهة الشرقية . وهو يمتاز عن الأهرام الاخرى بأن القسم الأسفل منه نحت من الصخر وجعل على شكل مدرج . ووجدت وراء مدخله حجرة فسيحة منحوتة فى الصخر مساحتها ١٢٠ مترا مربعا فيها أحجار كثيرة من الجرانيت ، وإلى الجانب الغربى من الحجرة سرداب منحدر يؤدى إلى غرفتين أخريين .

الحكومة كانت ملأى بالأموال كما أن فحص الأهرام من الناحية الفنية يدل على أن قدماء المصريين نبغوا فى هندسة العمارة والنقش والتصوير وصناعة التماثيل .

أما كون هذه الأهرام قبورا فهى من غير شك أعظم قبور شهدها العالم ، قبور ملوك كانوا يعتقدون أنهم من نسل الآلهة وأنهم خلفاؤهم فى حكم الأرض ، ملوك أقاموا هذه الأبنية العظيمة لتكون مثوى اجسادهم ومتاع أرواحهم ، كل هذا يرجع تاريخه إلى مايقرب من خمسين قرنا .

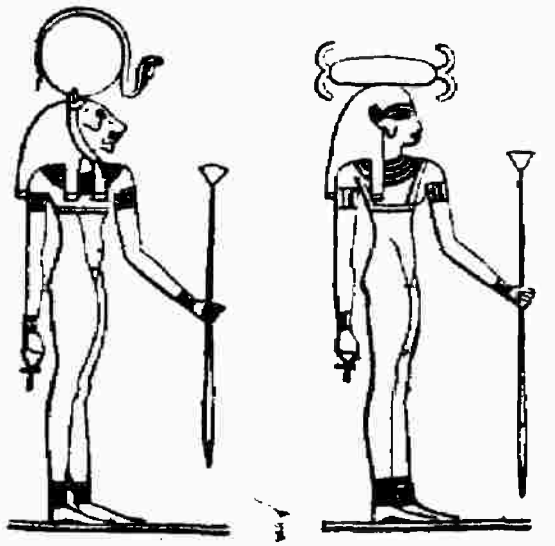

نت
Nit

هى الهة الصيد ، يصورها المصريون تحمل الاقواس والسهام وهى هنا تمسك فى يمينها مفتاح الحياة وفى يسارها صولجانا ينتهى بزهرة البردى

باست
Bast

كانت باست تعبد فى الدلتا وعلى الخصوص فى مدينة بوسطة قرب الزقازيق الحالية حيث أقيم لها معبد عظيم ، ويصورونها برأس قط

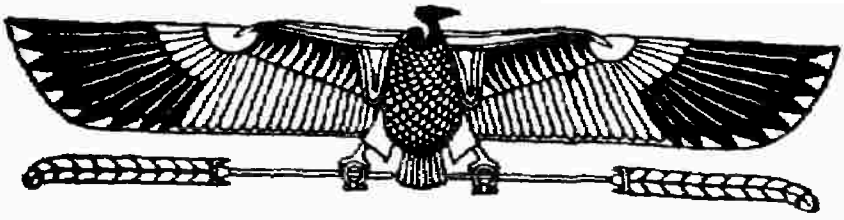

٦ — الأسرة الخامسة

كهنة رع

زادت أهمية الاله (رع) منذ الأسرة الرابعة فقد كان ملوكها يقرنون أسماءهم باسم ذلك الأله مثل خفرع ومنقرع وهذا معناه أن كهنة (رع) كانوا لا شك يتدخلون فى الشئون السياسية ويحاولون التقليل من سلطان الملوك ، وهذا مكن أولئك الكهنة من إسقاط الأسرة الرابعة وتأسيس الأسرة الخامسة .

الاسرة الخامسة

ولما كان ملوك هذه الأسرة من الكهنة فقد كان جل اهتمامهم موجهاً للأمور الدينية فظهرت فى عهدهم نهضة فى الآداب الدينية لم يسبق لها مثيل .

قوة الامراء

ولكن انصرافهم عن السياسة أدى إلى تقوى حكام الأقاليم فبعد أن كان الملك يعينهم ويعزلهم اكتسبوا لأنفسهم حقاً جديدا هو وراثة الحكم .

كشف جديد

وفى أواخر شهر مايو سنة ١٩٣٦ وفق العالم الأثرى الكبير الدكتور سليم بك حسن إلى اكتشاف مصطبة لأحد كبار الكهان يدعى (نخت كا) من عهد الملك (سحورع) ثانى ملوك الاسرة الخامسة ، والعجيب فى أمر هذه المقبرة أنها وجدت فى منطقة قبور الأسرة الرابعة ، لأن المعروف أن ملوك الاسرة الخامسة أقاموا قبورهم فى ابى صير وسقارة ، قد جرت العادة أن يدفن الأمراء وكبار الكهان والموظفين والحاشية حول مولاهم الملك ، فكيف شذ

نخت كا) ودفن بعيداً عن قبر مولاه ؟ ومصطبة (نخت كا) مبنية فى الأحجار الجيرية الضخمة وينفتح مدخلها إلي جهة الشرق، ويفضى المدخل إلى بهو ذى عمد منحوتة فى الحجر الجيرى .

بهو وغرفة

وفى الطرف الجنوبى الغربى من هذا البهو مدخل يفضى إلى حجرة وجدت جميع حوائطها منقوشة برسوم مختلفة للحياة اليومية، بعضها يمثل الرجل مع زوجته وأمامهما صنوف المآكل والمشارب يستمعون إلى المنشدين والعازفين، وبعضها يمثله فى أوقات عمله الجدّى يستعرض رجاله وأعوانه وهم يقودون العجول والثيران ؛ ولعل أعجب ما فى هذا كله أن رجاله كانوا يقودون فى نهاية ذلك القطيع ضبعا، ولقد عرف عن قدماء المصريين — فى وقت ما — أنهم كانوا يستأنسون الضبع ويأكلون لحمه .

غرفة الدفن

أما حجرة الدفن الحقيقية التي تحوي تابوت (نخت كا) فقد بحث عنها الدكتور سليم بك فى المكان المجاور للبهو والحجرة التى أسلفنا وصفهما، ولكنه عثر على بئر محفورة خلف باب وهمي، وظل الأستاذ يعمل فى تفريغ هذه البئر حتى بلغ عمقها تسعة أمتار وهنا انثنت البئر إلى حجرة صغيرة منحوتة فى الصخر وامتلأت بتابوت استقطع من الصخر أيضا، ورفع المنقب غطاء التابوت فشاهد من تحته عجبا شاهد هيكلا عظمياً كاملا بلى ما حوله وكاد البلى يأخذ بأطرافه، وذلك الهيكل يغمره الذهب من قمة الرأس إلى أخمص القدم، فحول الرأس بقايا لفافة كانت تطوق رأس الميت، وقد صنعت من أوراق الذهب التى تناثرت فى التابوت، وحول

العنق بقايا عقد من الزبرجد ، وطاف بوسط الرجل حزام من النحاس مغطى بطبقة سميكة من الذهب ، وبدت من بين أضلاع الرجل صفائح ذهبية رقيقة هشة ، لعلها كانت تحيط بجسمه جميعا ثم تغلغلت فيه بعد أن بلى البدن وتقلص الهيكل العظمى ، وتمددت الى جانب الميت عصا مصنوعة من الذهب الخالص ، ووجدت فى غرفة الدفن آنية من الفخار والنحاس والمرمر وكثير من التحف الأخرى (١)

طريقة التحية عند المصريين

ولم تكن طريقة التحية عند قدماء المصريين معروفة بالضبط قبل الكشف عن هذه المصطبة ؟ ولكن وجدت على الحائط الشرقي للحجرة التى أشرنا اليها رسوم تجلى عن طريقة التحية المصرية القديمة ، فصاحب المقبرة واقف وأمامه رجلان من خدمه يقودان بعض الماشية ، فأذا ما اقتربا منه نجد كلا منهما قد وضع يده اليسرى على كتفه الأيمن دلالة على التحية ويده اليمنى ممسكة بمقود الماشية ، وهذا الرسم من النماذج النادرة فى جميع المقابر التى تم كشفها .

---

(١) من الحقائق التاريخية التي اكتشفها أحد علماء الصين الباحثين أن طوفانا غمر العالم القديم ، وقد عثر فى كل أنحاء العالم على آثار تؤيد حدوث هذا الطوفان ، ولم يعرف تاريخ حدوثه إلى الآن . ولكن استطاع الدكتور سليم بك حسن على ضوء النتائج التى وصل اليها من التنقيب فى هذا العام أن يحدد تاريخ حدوث هذا الطوفان ، فقد لاحظ أن بعض المقابر التى كشفها مغمورة بالطمى مما يدل على أن السيل غمرها وقت حدوث ذلك الطوفان العام ، والى جانب هذه المقابر وجد الدكتور مقابر أخرى لم يصل إليها السيل ، ولاحظ أن مقابر الاسرة الرابعة هى وحدها التى غمرها الطوفان وأن مقابر الاسرة الخامسة — برغم مجاورتها لها — قد سلمت منه ، ومن ثم استنتج أن الطوفان العالمى حدث فى عهد الاسرة الرابعة ، أى منذ ٢٢٧٠ سنة قبل الميلاد . وهذه حقيقة تاريخية ستقابلها الاوساط العلمية بكثير من الاهتمام .

قبر رع ور

وكشف الدكتور سايم بك إلى جوار أبى الهول قبر الكاهن الأعظم (رع ور Ra-Wer) الذي يعاصر ثالث ملوك الأسرة الخامسة ، ويتكون القبر من بهوين وعدد كبير من السراديب ، ويبلغ عدد الحجرات التى تم كشفها بما فى ذلك السراديب ستين حجرة .

وأهم ما عثر عليه قاعدة تمثال من الألبستر بلغ من دقة الصناعة مبلغاً عظيما ، وعثر فى الرمال التى كانت تغطى مصطبة (رع ور) على تمثال لسيدة جالسة ، ووجدت لوحة جيرية عليها رسم لرع ور وأمامه والدته وقد وضعت يديها على صدرها ، وهذه اللوحة من أبدع ما خلفت الدولة القديمة .

آثار الاسرة الخامسة الاخرى

وأهم آثار الاسرة الخامسة بسقارة هرم (أوناس) آخر ملوكها ورغم أنه أقل فى ضخامته من أهرام الأسرة الرابعة فأنه يمتاز عنها بألوان بديعة ونقوش زاهية من الداخل ، وعلى حوائطه كتابات يسميها المؤرخون (متون الاهرام) هى أقدم الكتابات الدينية في العالم إذ يرجع تأليفها إلى ما قبل حادث التوحيد ، وتتضمن أساطير رواها كهنة (رع) إله هيليوبوليس وأدعية وطلاسم تحفظ جثة الميت وتقيها الشرور ، وقد جمعت هذه الكتابات وضمت اليها أدعية أخرى وسميت فى مجموعها (كتاب الموتى) ومن أعظم آثار هذه الأسرة معابد (أبى صير) بين الجيزة وسقارة وهي لاتزال حافظة لطلاوتها . وتمتاز بأرضها المرصوفة بالبازلت وبوجود كثير من أعمدة الجرانيت المحبب ، أما قبر (تي) أحد الاشراف الاغنياء

وقبر (بتاح حتب) أحد أفراد الأسرة المالكة فيمثلان أقصي ما وصل اليه تقدم التصوير والحفر فى الدولة القديمة ، وهما أهم مصادر تاريخ الأسرة الخامسة ، سيما بعد التوفيق العظيم الذى أصابه الدكتور سليم بك فى التنقيب حولهما سنة ١٩٣٧

نصائح بتاح حتب

وعثر المنقبون قرب طيبة على ملف من أوراق البردى يشمل ١٨ صفحة كتبت عليها نصائح الأديب الحكيم (بتاح حتب) التى وجهها لابنه ، وكلها تدور حول آداب السلوك ومعاملة الأصدقاء والزوجة والحكام والمرءوسين ، وتعد من غير شك أهم القطع الخالدة فى أدب المصريين القدماء ، وقد جاء فيها ما يأتي :

« كن سيداً فى بيتك وأحب امرأتك حبا خالصا ، أعطها كفايتها من الطعام واللباس واشترلها العطر واجعلها سعيدة مادمت حيا ، فان المرأة مرآة لزوجها ينعكس فيها ما يبذله فى سبيل سعادتها ، لا تكن خشنا فى بيتك فاللين يحرك قلب المرأة والغلظة تنفرها »

وب ام نفرت

وفى خلال سنة ١٩٣١ أزيحت الرمال عن بعض مقابر الأسرة الخامسة بالجيزة أهمها مقبرة (وب ام نفرت) مدير القصر الملكى الذى تزوج الأميرة (مرسى عنخ) ووجد لهذه الأميرة خمسة تماثيل جميلة أعينها مصنوعة من الحجر الأبيض داخل إطار من النحاس وهى من أرقي ما أبدعت يد الفنان المصرى .

فى معات رع

وكشف أيضا بالجيزة عن مقبرة (نى معات رع) كبير المغنين فى بلاط الملك (نيوسرع) رابع ملوك الأسرة الخامسة ، ووجدت حجرة جنائزية صغيرة لأخت هذا المغنى المسماة

(نفرس رس) منقوشة بالالوان الزاهية وكانت هـذه السيدة من الحرم الملكى ورئيسة راقصات الملك . وقد وصفت بأنها « الجميلة امام الملك كل يوم والمسببة لقلبه فى كل مكان »

وخلاصة القول أن الأدب والفن قد بلغا مبلغا عظيما فى عهد الاسرتين الرابعة والخامسة . ولكن تقوّى الامراء في عهد الأسرة الخامسة كان ممهدا للتفكك السياسى فى الفترة الثانية التى يطلق عليها المؤرخون عهد الاقطاع .

عهد الاقطاع

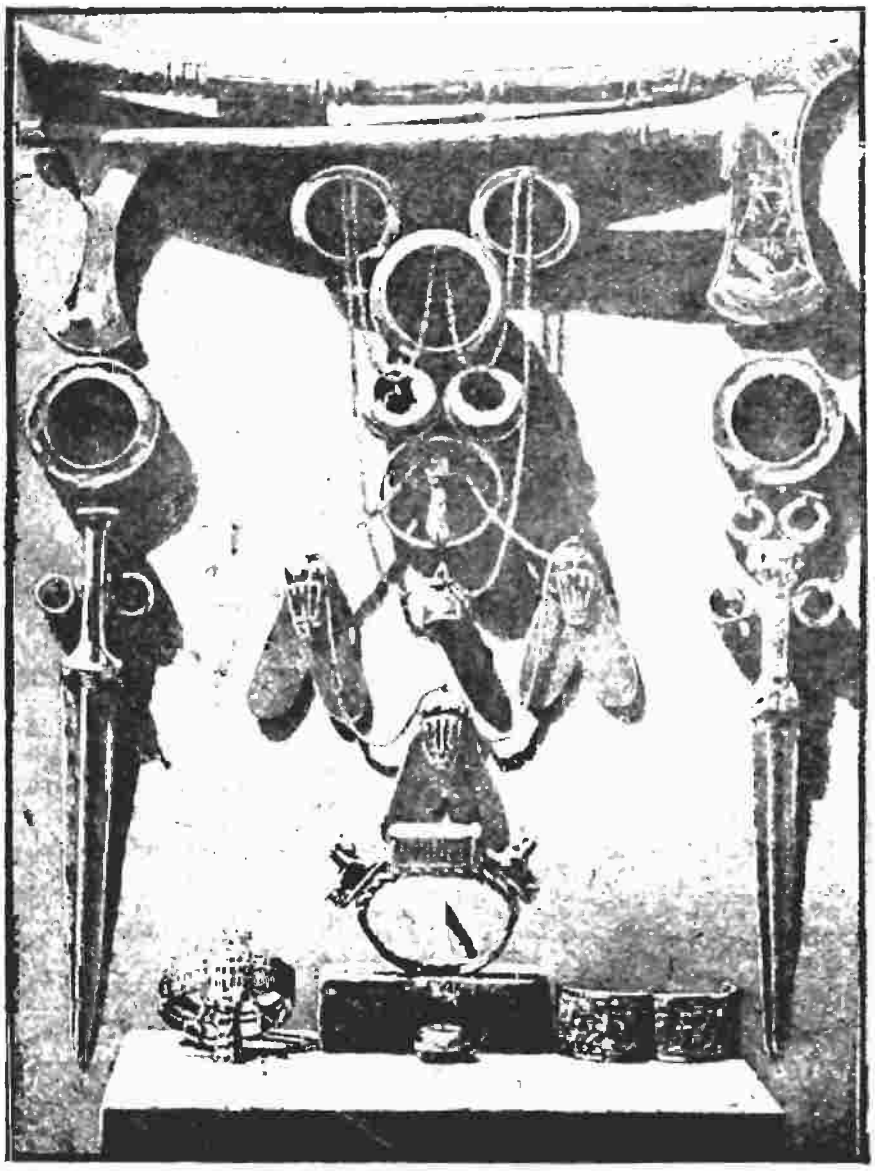

مجموعة من حلى الأسرة الثانية عشرة

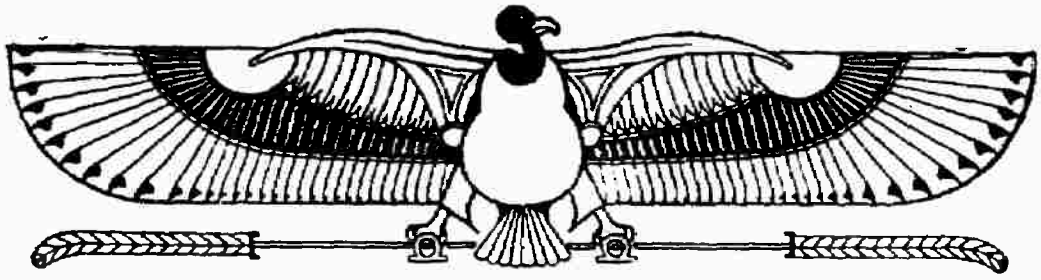

٧ — الاقطاع

عهد

لما ضعف الملوك فى أواخر الأسرة الخامسة أصبح لحكام الاقاليم حق وراثة الأرض التى يحكمونها ، وبدأ كل أمير يحيط نفسه بجيش وحاشية يشبهان ما لفرعون الكبير، ثم أصبح الأمراء يدفنون فى مقاطعاتهم بعد أن كانت مقابرهم تحيط بمقبرة الملك ، ولم يستطع الملوك مقاومة ذلك التغيير لضعفهم بل استعانوا بالأمراء على تنفيذ سياستهم واستمالوهم بتقديم الهدايا وباقطاعهم أرضا من أملاكهم الخاصة ، ولذلك يسمى المؤرخون تلك الفترة التى ظهر فيها ذلك التفكك السياسى (عهد الاقطاع) ، ويبدأ من أواخر الأسرة الخامسة وينتهى بدخول الهكسوس مصر فى الأسرة الثالثة عشرة .

الاسرة السادسة

واستطاع ملوك الأسرة السادسة أن يحافظوا على كيان الملكية . واستعانوا بالأمراء على بسط سيادتهم على بلاد النوبة وبلاد فينيقية وبدو الصحراء وبلاد بنت ، ولكن كانت أواخر أيام هذه الأسرة مظلمة ضعفت فيها الملكية وقوى نفوذ الأمراء لدرجة مكنتهم من إسقاط الأسرة السادسة وبسقوطها ضاعت أهمية مدينة منف وانتهى عهد الدولة القديمة (١)

---

(١) الدولة القديمة من الاسرة الاولى إلى ختام السادسة (٣٠٠٠ — ٢٥٠٠ . ق . م .)
(٢) الدولة الوسطى من الاسرة السابعة إلى السابعة عشرة (٢٥٠٠ — ١٥٨٠ . ق . م .)
(٣) الدولة الحديثة من الاسرة الثامنة عشرة إلى الحادية والثلاثين (١٥٨٠ — ٣٢٢ . ق . م .)

العصر العظيم الاول

وبانقضاء أيام الأسرة السادسة عمَّت الفوضى وساء الحال وقام النزاع بين الأمراء لزوال هيبة الملكية . وبالاختصار عادت مصر إلى ما كانت عليه قبل التوحيد من التفكك والانقسام اللذين داما من الأسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة .

الاسرة الحادية عشرة

وسط ذلك الظلام وهذه الفوضى نهض أمراء طيبة وأسَّسوا الأسرة الحادية عشرة وجعلوا طيبة مقراً لحكمهم وشيدوا بها قبورهم فبدأت تزداد أهمية هذه المدينة التاريخية العظيمة .

الاسرة الثانية عشرة امنمحعت الاول

وأسس الأسرة الثانية عشرة الملك (امنمحعت الاول) الذى استطاع أن يخضع أمراء الاقاليم بالهدايا والاقطاعات ، ويعتبر حكمه بدء العهد الاقطاعى المنظم وعوده نفوذ الملكية .

اللشت

قد رأى (امنمحعت) أن طيبة لا تصلح لحكم القطرين فنقل العاصمة إلي اللشت وبني لنفسه هرماً ومعبداً بها .

أعماله الاخرى

ويؤثر عن عهده أنه كان فترة طمأنينة ورخاء ، فقد أحدث عدة إصلاحات زراعية واهتم بتوزيع مياه الرى بالعدل ، ثم دانت له بلاد النوبة الشمالية وعاد رسله منها يحملون الذهب والحاصلات الاخرى .

اسرتسن الاول

وحكم بعده (اسرتسن الأول) وكان له معبد كبير فى هليوبوليس لم يبق من آثاره إلا المسلة المعروفة التى لا تزال قائمة هناك .

اسرتسن الثالث

ومن أهم ملوك هذه الأسرة (اسرتسن الثالث) أو (سيزوستريس) الذى بسط سيادته على بعض أجزاء سوريا ووصل بحدود مصر فى بلاد النوبة إلي الشلال الثانى حيث أقام هناك قلعتي

رأس تمثال امنمحعت الثالث وهو محفوظ فى متحف القاهرة

(سمنة وقمة) ثم حفر ترعة توصل النيل بالبحر الاحمر وبنى لنفسه هرماً ومعبداً فى دهشور .

منحعت الثالث

ويعتبر (امنمحعت الثالث) أعظم ملوك هذه الأسرة . وتمتاز عهده بعدة إصلاحات زراعية عمرانية . فقد أقام سداً على جزء من منخفض الفيوم المسمى بحيرة موريس ليرفع مانسوب الماء فيها ويوزعه على الترع للانتفاع به زمن التحاريق . وهذا ساعد على تقدم الزراعة والملاحة فى الدلتا وتجفيف منطقة كبيرة من الارض كانت تغمرها الاحراش والمستنقعات . وسرعان ما نشأت مكان

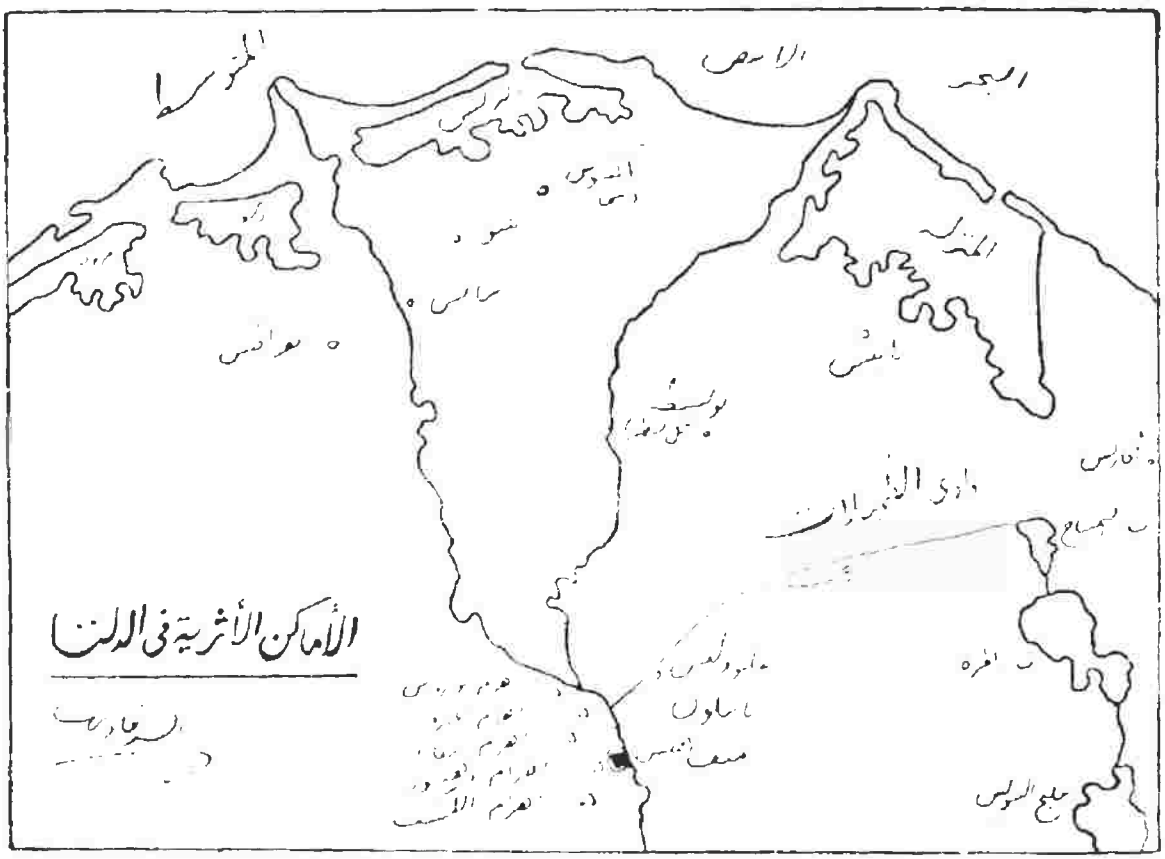

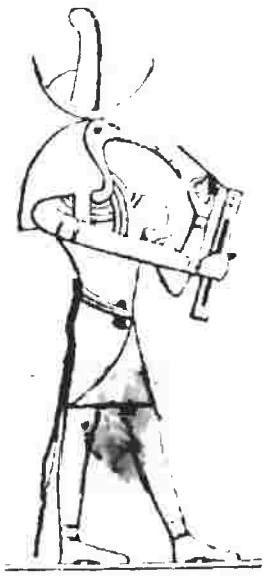

تحوتى
Tehuti

هو إله القمر ومعبود طيبة ، يصورونه برأس صقر عليه قرص الشمس موضوعا فى هلال ويتكون ثالوث طيبة المقدس من خنسو وآمون رع وموت

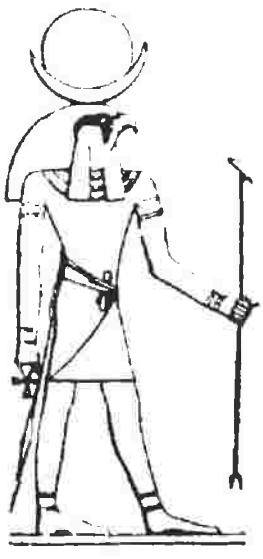

خنسو
Chonsu

هو سناخ الآلهة والموكول اليه قياس الزمن ومخترع الارقام الحسابية . وهو يقف في قاعة الحق ممسكا باللوحة والقلم لتدوين نتيجة الوزن

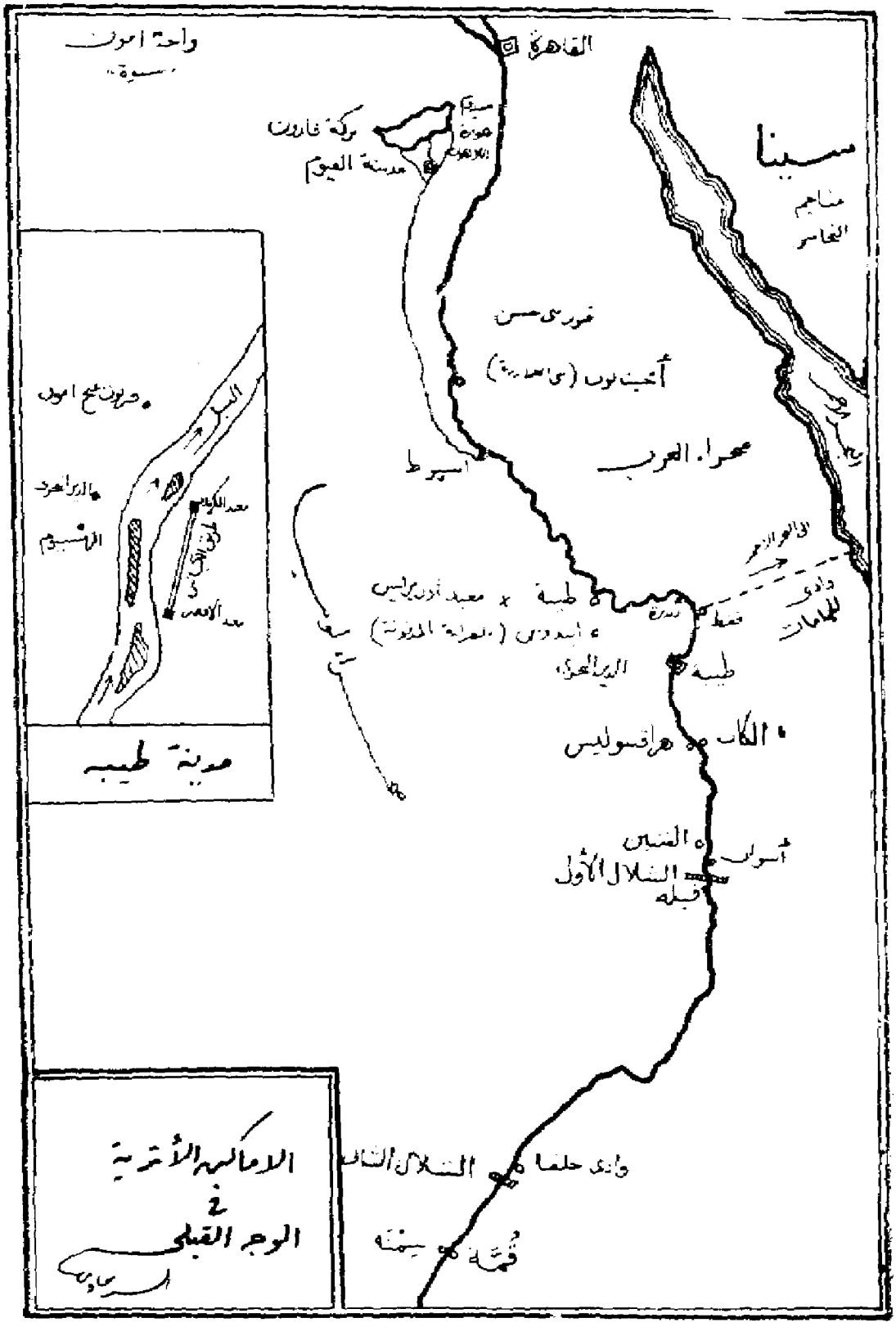
واحة امون
سيوة
القاهرة
بركة قارون
مدينة الفيوم
سينا
مناجم
الفيروز
منف
أهناسيا (مدينة الشمس)
صحراء العرب
أسيوط
طيبة
معبد أبو سمبل
أبيدوس (مقبرة المدفونة)
البر الأحمر
الكاب
هرقوبوليس
أسوان
الشلال الأول
قفط
قنا
وادي حلفا
الشلال الثاني
قمة
سمنه
البر الأحمر
الفيوم
معبد الكرنك
معبد الأقصر
مدينة طيبه
الأماكن الأثرية
في
الوجه القبلي

هذه الأحراش مدينة الفيوم ، ولا بد أن هذه المنطقة كانت قديما من أجمل بقاع مصر ، لانها تشرف على البحيرة ويهب عليها نسيم منها وأهوية نقية من الصحراء . ثم أنشأ مقياساً للنيل عند (سمنة) ونظم استخراج النحاس من سينا .

قصر لابرنت

وبنى (امنمحعت) قبره على شاطىء البحيرة وبنى هرمه فى هوارة والى جانبه أقام معبداً عظيما هو الذى وصفه (هيرودوت) وأسماه (قصر لابرنت) أو (قصر التيه) لان الذى يدخله يضل فيه لكثرة حجراته والتواء ممراته الكثيرة ، وقال (هيرودوت) أيضا إنه فاق فى ضخامته أهرام الجيزة وإنه كان يحتوى على اثنى عشر بهوا نصفها يواجه الشمال ونصفها يواجه الجنوب ، وبه طرقات وغرف مقامة من الحجر الابيض الجميل تزينها تماثيل وتحف بديعة الصنع ، وقال أيضا إن اللابرنت يحتوى على ثلاثة آلاف حجرة نصفها تحت الارض ونصفها فوق الارض .

ولم يبق من هذا المعبد العظيم الاَّ أحجار قليلة مبعثرة لا تدل على شىء مما جاء فى وصف « هيرودوت » ولذا نشك فى صحة ذلك الوصف .

حضارة الدولة الوسطى

يعتبر عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م .) العصر الذهبي فى تاريخ الفنون والآداب والرفاهية والمحافظة على كيان الملكية ، ففى ذلك العصر قاد ملوك مصر الجيوش عبر الصحراء فوق سهول سوريا وتلالها إلي ضفتي الفرات ، وحكموا السودان كمديرية مصرية ، وتجولت سفنهم التجارية فى شرق

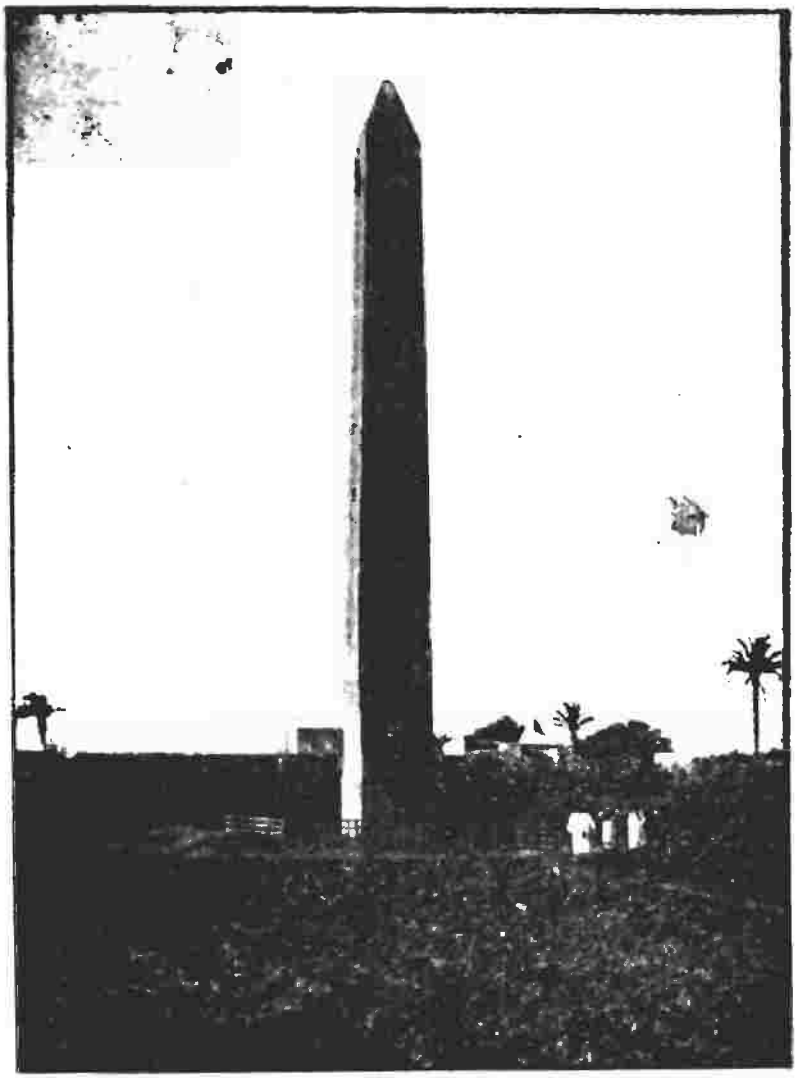

مسلة
هليو بوليس

البحر الأبيض المتوسط . وتمت على أيديهم مشروعات الرى التي زادت فى رفاهية الأهالي وملأت خزانة الدولة بالأموال . وهذا ساعد على تجديد وبناء معظم معابد مصر القديمة .

الهرم

وتختلف أهرام هذه الأسرة عن أهرام الدولة القديمة لصغر حجمها ولأن المدخل فى كل منها عبارة عن فتحة على الأرض بعيدة عن الهرم . وكانت العناية كلها موجهة إلى تزيين المعابد وقبور العظماء .

تاج مرصع للأميرة « خنومت » من الأسرة الثانية عشرة ، عثر عليه فى دهشور
وهو محفوظ فى متحف القاهرة

الحلى والمجوهرات

وقد عثر المنقبون فى أهرام دهشور على صندوقين يحتويان على حلى وعقود تعتبر من أعظم كنوز العالم القديم ؛ فاذا اعتبرنا تماثيل شيخ البلد ورع حتب ونوفريت أقصى ما وصل اليه الرقى الفنى فى عهد الدولة القديمة ؛ كانت الحلى التى عثر عليها بأهرام دهشور فخر الدولة الوسطى وشاهد تقدمها العظيم فى الصناعات الدقيقة . وكل هذه الحلى محفوظة فى متحف القاهرة ؛ ومن بين آثار ذلك العهد مجموعة عظيمة من أختام الجعارين .

آداب الدولة الوسطى
قصة سانحات

ومن أهم آداب الدولة الوسطى قصة الأمير (سانحات) أحد أفراد الأسرة المالكة الذى هاجر عند موت (امنمحعت الأول) إلى سوريا وعاش هناك زمنا طويلا ثم عاد إلى مصر فى

أخريات أيامه ووصف بلاد سوريا وصفا يعتبر صورة صادقة لأحوالها فى ذلك العصر ، وتتلخص أهمية رحلته فى أن وصفه لسوريا يدل على أنها كانت فى عهد الدولة الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ ق.م .) متأخرة فى حضارتها عن مصر .

والقصة مكتوبة بأسلوب طلى وبها معلومات تدل على عناية قدماء المصريين بدراسة أحوال البلاد الاجنبية التي تحيط بهم ، كما أن الرسائل البليغة التي كتبها « سانحات » لفرعون والردود التى بعث بها اليه فرعون ليسمح له بالعودة إلى مصر كلها مكتوبة بقوة فى التعبير وسلاسة فى الالفاظ تدل على مبلغ عظيم من التمدن . ويقول (سانحات) ما يأتى فى ختام القصة :

« وأخيراً عدت إلى الوطن العزيز مصر ، وأقيم لى هرم بين أهرامها . وأمر جلالة الملك فصنع لى تمثال مطعَّم بالذهب ، كل هـذه أشياء لا يمكن أن تعمل لرجل حقير الشأن ، وإنى أعلن إخلاصى وولائى لجلالته إلى آخر يوم من حياتى »

أسطورة البحرى الغريق

ومن أشهر الآداب أيضاً قصة البحرى الغريق التى يقول فى إحدى صحائفها التى ترى صورتها فى صحيفة ٥٧ ما يأتى :

« هلك من كانوا على ظهر السفينة ولم ينج منهم أحد ، ثم قذفت بى موجة من أمواج البحر الأعظم الى جزيرة نائية ، وقضيت وحدى ثلاثة أيام لا رفيق لى غير قلبى ، وكنت أقضى الليـل فى الأدغال حتى يحتوينى نور الصباح فازحف واملأ فمى بالتين والعنب والخضر اللذيذة »

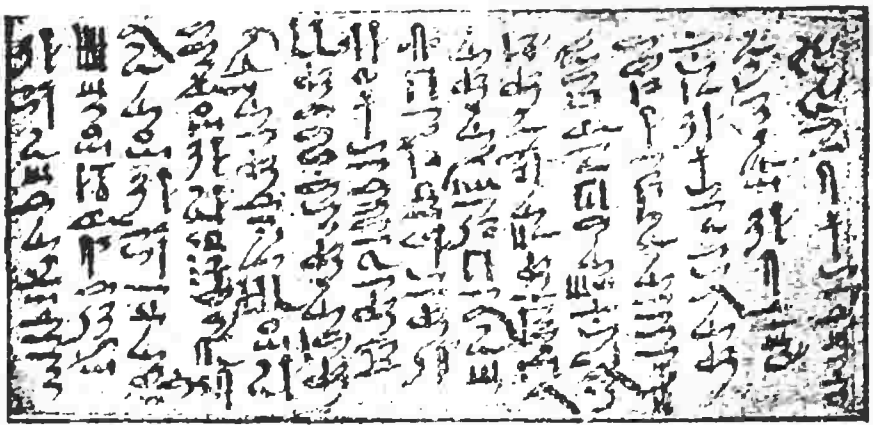

صورة من قصة البحرى الغريق التى كتبت فى عهد الأسرة الثانية عشرة فى مصر منذ أربعة آلاف سنة ، وقد
ترجمت بحروفها فى صفحة (٦٠) وفى هذه الصفحة الجزء الأخير

أمون رع

أما بقية القصة فخلاصتها أن ثعباناً هائلاً ذا لحية طويلة قبض على البحار وحجزه عنده ثلاثة أشهر أكرم وفادته خلالها ، وأخيراً أعاده إلى مصر يحمل الكنوز والخيرات ؛ وذلك الثعبان هو ملك هذه الجزيرة النائية فى البحر الأحمر عند مدخل المحيط الهندى .

أما من حيث الدين فان (رع) إله (هليوبوليس) كان يعبد فى كل أنحاء مصر عبادة عامة ، ولكن ظهور (طيبة) جعل لمعبودها (أمون) أهمية كبيرة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ المصريون يعبدون الإلهين مجتمعين ويطلقون عليهما (أمون رع)

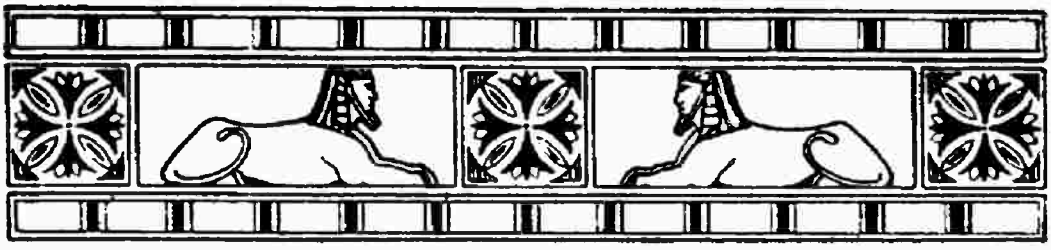

٨ — الهكسوس

العصر المظلم الثاني

ظلت مصر بعد الأسرة الثانية عشرة أعواماً فى هدوء ورفاهية غير معتاد ثم سادت الفوضى فى الداخل وانتابتها كارثة غزو من الخارج، ويظهر أن الملوك الثلاثة الأول من الأسرة الثالثة عشرة حكموا القطرين، وأن عاصمتهم كانت الفيوم، ولكن سرعان ما تفككت البلاد وعادت سيرتها الأولى قبل (مينا)، ويطلق المؤرخون على عهد الفوضى التى سادت أيام الاسرة الثالثة عشرة بالعصر المظلم الثانى

غزو الهكسوس

وكل ما يعرف عن حال مصر فى ذلك العصر أن غزاها قوم أجانب أطلق عليهم مانيثون (الهكسوس)، منتهزين فرصة الانحلال والضعف والفوضى الداخلية، وأنهم عند دخولهم مصر انتشروا فى الدلتا وأنشأوا بلداً جديدا جعلوه مقر حكمهم يدعى (أفاريس) فى شرق الدلتا، وأن حكمهم انتهي بقيام أسرة قوية فى الجنوب على رأس حركة وطنية عاصفة تمكنت من طردهم.

اصل الهكسوس

ولا يستطيع مؤرخ أن يدلى برأى قاطع عن أصلهم، وقد تعرض لهذا الموضوع مؤرخ يهودى يدعى (يوسيفوس) فقال إن (هيك) معناها أمير وإن (سوس) معناها راعى ومن ثم سمى الهكسوس (ملوك الرعاة)، ولكن هذا القول لا يعتمد عليه،

والحقيقة أن معنى الكلمة فى اللغة المصرية (حاكم البلاد الاجنبية) وأن الهكسوس كانت لهم إمبراطورية واسعة تشمل سوريا وشمال مصر وجزءاً من آسيا الصغرى وأرض الجزيرة بدليل العثور على اسم (خيان) أحد ملوكهم على بعض الآثار فى كريد وبغداد مما يدل على امتداد امبراطوريتهم إلى هذه الجهات أو على الأقل انتشار نفوذ الملك (خيان) فيها .

أصلهم

أما أصلهم فلا يزال موضوعا غامضا حتى اليوم ، ولكن أكثر الآراء على أنهم خليط من الفينيقيين والعرب وسكان آسيا الصغرى . وأن لغتهم بها عناصر من لغة بابل وفينيقيا ، وأنهم كانوا يلبسون الملابس المزركشة ويستخدمون العجلات الحربية التى تجرها الخيل .

مظاهر حكمهم

وقد حكموا مصر من الأسرة الرابعة عشرة إلى السابعة عشرة ولكنهم لم يحكموا البلاد بأنفسهم فى أول الأمر ، بل تركوا الحكم فى أيدى ملوك مصريين كانوا أشبه بولاة لهم خلال الاسرتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، وكانت عاصمتهم (اكسويس) فى شمال الدلتا ، أما الاسرتان السادسة عشرة والسابعة عشرة فقد حكم فيهما ملوك من الهكسوس أنفسهم .

ويقال إن (أوكن رع) الهكسوسى آخر ملوك الأسرة السادسة عشرة هو الذى حدثت فى أيامه المجاعة الشهيرة التى نجت البلاد من هولها بفضل وزيره الحكيم يوسف الصديق .

وكان الهكسوس فى أول أمرهم يهدمون معابد المصريين

ويبالغون فى ظلمهم ، ولكنهم لم يلبثوا أن عبدوا آلهتهم وصاهروهم

ولما ضعف الهكسوس وماتت فيهم الروح الحربية بعد عيشة الخمول والترف التى عاشوها بمصر قام أمراء طيبة فى الجنوب بحركة وطنية قوية للحصول على استقلال مصر وطرد الهكسوس منها ، فتمكن (أحمس) قائد الحركة بعد حرب طويلة دامت أكثر من خمسين عاما من الانتصار عليهم وإخراجهم من مصر عن طريق تانيس وسينا ، ثم محا المصريون آثارهم وبدأ تاريخ مصر يدخل فى طور جديد .

حضارتهم

ولم تكن للهكسوس حضارة فنية تذكر ، ولكنهم امتازوا بالتفوق فى الفنون الحربية ، فهم الذين علموا المصريين تقسيم الجيوش إلى فرق ووحدات واستخدام الخيل والعجلات الحربية والأسلحة الطويلة ، وهذه كانت أكبر عون للمصريين فى حرب الاستقلال التى انتصروا فيها ضدهم .

آثارهم

وعثر المنقبون فى تانيس على تماثيل من البازلت تُعزى إلى عهدهم ، ويميل بعض المؤرخين إلى أن عاصمة الهكسوس كانت (تانيس) للعثور على كثير من آثارهم بها ، وعثر أيضا على تمثال ناقص للملك (خيان) فى بوبسطة ، ولكن لسوء الحظ لم نجد إلاَّ النصف الاسفل من التمثال وعليه اسم الملك ، وعثر أيضا على مجموعة من الجعارين والاختام فى مصر وسوريا .

٩ — الدولة الحديثة (الامبراطورية)

الأسرة الثامنة عشرة

يعتبر طرد الهكسوس وتأسيس الأسرة الثامنة عشرة بدء عظمة مصر الحقيقية ، فان (أحمس) بعد أن تتبع الهكسوس حتى أجلاهم عن حدود مصر الشمالية الشرقية اعتبر مؤسساً للأسرة الثامنة عشرة إذ أعلن سيادته على القطرين وعلى جميع حكام الاقاليم ، فكانت الملكية الجديدة قوية ترتكز علي أساس الجيش الذى أجلى الهكسوس وجلب للبلاد استقلالها.

طيبة

ولما كان (أحمس) من أمراء طيبة فقد عظم شأنها وشأن معبودها (أمون) وأصبحت مقر الحكم ، وكما أننا نذهب إلى الجيزة أوسقارة لنعرف شيئا عن حال مصر أيام الدولة القديمة ، فاننا نذهب إلى طيبة لنرى معبدى الكرنك والاقصر العظيمين ونعرف شيئا عن حضارة الدولة الحديثة .

الامبراطورية

ولما كان المصريون قد تعلموا فن الحرب عن الهكسوس وأخذوا عنهم استخدام العجلات والخيل وطاردوهم حتى حدود مصر فان هذا جعل المصريين يثقون بأنفسهم ويعتقدون أنهم يستطيعون فتح بلاد جديدة وهكذا بدأ خلفاء (أحمس) سلسلة الفتوح العظيمة فى آسيا وتمكنوا من إقامة إمبراطورية مصرية وصلت حدودها شرقا إلى الفرات .

تحتمس الاول

ومن أقوى الملوك الذين حكموا بعد أحمس الملك تحتمس الاول فقد تمكن من نشر سيادة مصر على السودان ، ثم غزا جزءاً كبيرا من سوريا وزحف شرقا حتى شاطىء الفرات ، وهناك أقام عموداً تذكارياً يعين أقصى توغله إلى ناحية الشمال الشرقى .

ورغم اهتمامه بالحرب فقد كان محبا للمبانى . فزاد فى معبد الكرنك وبنى لنفسه قبراً دفن فيه بوادى مقابر الملوك بطيبة الغربية.

حتشبسوت

وحدث بعده نزاع على العرش لا يزال موضوعه غامضا ، ولكن الاستاذ (برستد) قال بفرض مؤداه أن حتشبسوت وتحتمس الثانى وتحتمس الثالث كلهم أبناء تحتمس الأول وكان تحتمس الثانى ملكا ضعيفا تمكنت (حتشبسوت) من التغلب عليه ، فحكمت البلاد وأشركت معها أخاها تحتمس الثالث وتزوجته وهو لا يزال غلاماً ، وظلت تحكم وهو إلى جانبها ليس له من الأمر شىء حتى ماتت فحكم وحده من بعدها .

أعمالها السلمية

ولم تكن (حتشبسوت) تميل للحرب فصرفت مدة حكمها فى البناء والعمارة ، فمن ذلك أن أقامت لنفسها معبد الدير البحرى وأعلنت الشعب أنها ابنة الإله أمون ، ثم زادت فى معبد الكرنك وأرسلت حملة إلى بنت ، لجلب الأشجار والأعشاب والذهب ولبان الذكر لمعبد أبيها أمون ، وعلى حوائط معبد الدير البحرى تاريخ (حتشبسوت) وصورة تمثل وصول السفن التى أرسلتها لبلاد بنت ، وتمثل عودتها إلى مصر تحمل حاصلات هذه البلاد .

وزينت الملكة حديقة معبد الكرنك والطرق الموصلة إليه

رأس تمثال للملك تحتمس الثالث فى صباه وهو مصنوع من الحجر الأسود ومحفوظ فى متحف القاهرة

بالأشجار التى جلبتها من بلاد بنت . ويظهر أن السفن عادت من بنت إلى طيبة عن طريق (ترعة سيزوستريس) .

وبعد أن حكمت (حتشبسوت) ثلاثين عاما رغبت فى تخليد ذكراها فأمرت بإقامة مسلتين هائلتين من الجرانيت فى الكرنك لا تزالان الآن عند مدخل معبد الأسرة الثامنة عشرة ، إحداهما قائمة والأخرى لا تزال أنقاضها باقية . ولما ماتت دفنت فى وادى مقابر الملوك .

تحتمس الثالث

وبعد موتها حكم (تحتمس الثالث) وحده ، وبدأت تظهر

مواهبة الحربية وقوة شخصيته بزوال الكابوس الذى كان يغطى عليها ، فقد كانت (حتشبسوت) لا تترك له من الأمر شيئا ، وكان فى أيامها على حد تعبير أحد الكتاب صفراً على الشمال .

ومنذ حكم ذلك الملك العظيم وحده بدأ بعد المدَّة لمشروعات حربية هائلة خلَّدت ذكره ووضعته فى صف أعاظم القادة فى التاريخ القديم [1]

واستطاع (تحتمس) أن يجعل كثيراً من المدن السورية مخازن للذخائر والمؤن ، وأن يجعل معظم موانىء فينيقيا محطات لأسطوله الحربى ، ودفع له أهل فلسطين الجزية ، ثم إنه عين من المصريين حكاماً على كثير من البلاد التى فتحها .

ام حلاته

فى الحملة الأولى هزم أمراء الشام الذين تجمعوا لقتاله بقيادة ملك قادش فى (مجدُّو) وتم له الاستيلاء عليها ، وكانت نتيجة ذلك النصر المبين أن تقرب اليه ملوك آسيا وقدموا له الهدايا عند ما دخل بلادهم فى الحملة الثانية .

وفى الحملة الخامسة استولى على مدينة (أرواد) الحصينة ، ثم تمكن فى الحملة السادسة من محاصرة (قادش) براً وبحراً ،

---

(١) ليس أدل على قوة شخصية الملك تحتمس الثالث من المنشور الذى أذاعه على الشعب المصرى عند توليته العرش وفيه يقول في كبرياء وعظمة :

(هـذا مرسوى الملكى اليكم ينبئكم بأنى قد تبوأت عرش « هوراس » الحى وأنه لامماثل لى ولاشريك لى فى الحكم الي الابد ، أنا صاحب الجلالة ملك الارضين أنا الملك المعظم ملك مصر العليا والسفلى آمركم أن تقوموا بتقديم القرابين إلى الآلهة وأن ترتلوا الاناشيد لها كى تبارك في مولاكم الملك وأن تقسموا أيمانكم من الآن باسم جلالتى المعظمة)

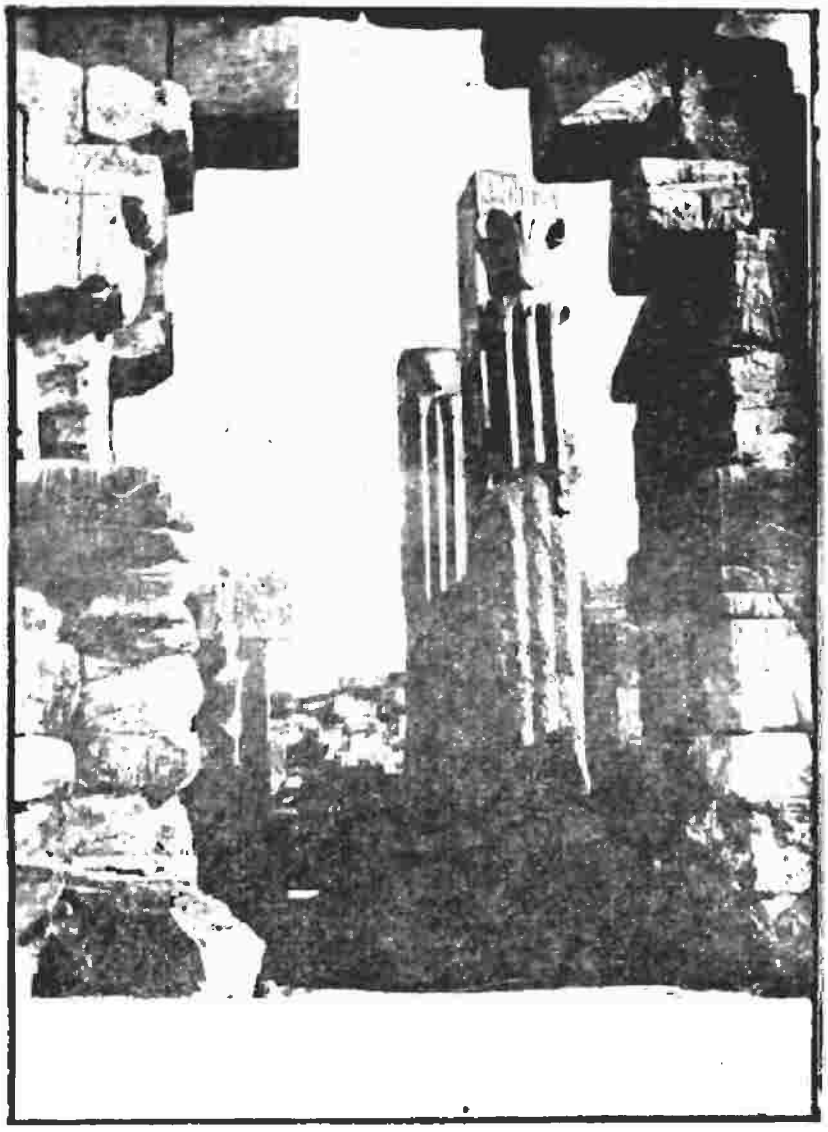

أعمدة اللوتس والبردى أقامها تحتمس الثالث فى الكرنك

ولم يتمكن من دخولها والاستيلاء عليها الا فى الحملة السابعة عشرة .

الميتانى

وبتوغله شمالا نحو الفرات التقى بأمة الميتاني الشديدة البأس ، وكانت عاصمتها قرب إقليم حلب ، والتقى كذلك بالحيثيين الذين بدأوا فى ذلك الوقت يندفعون من آسيا الصغرى . فعبر (تحتمس) الفرات وهزم الميتانى وتقدم نحو بابل وعقد مع ملكها صلحا مشرفا ، ولم يستول عليها لبعدها عن مصر .

النوبة

وقاد حملة إلى السودان أوصل بها حدود مصر إلى الشلال الرابع ، وهكذا شملت امبراطوريته كل هذه البلاد الواسعة .

أعماله السلمية وآثاره

وأهم أعماله السلمية بناء معبده الجنائزى على حافة الصحراء المطلة على طيبة ولكنه الآن قد تهدم تماماً ، وأهم أعماله الباقية الاجزاء التى بناها فى معبد الكرنك والاعمدة الجرانيتية التى حلاَّها برسوم زهور اللوتس والبردى ليمثل القطرين ، ثم إنه أقام لنفسه مسلات عديدة نقلت إحداها إلى القسطنطينية وثانية إلى روما وثالثة إلى لندن على ضفة التيمس ورابعة إلى حدائق سنترال بمدينة نيويورك .

وأعظم آثاره تمثال له فى صباه حفر من الحجر الاسود عثر عليه فى الكرنك وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة .

وجملة القول أن (تحتمس) كان ملكا عظيما وبطلا محبوباً فقد ظلَّ المصريون يقدسون اسمه مئات السنين بعد موته لدرجة أنهم عبدوه وقدموا له الهدايا والقرابين .

أمنحتب الثالث وآثاره

ووصلت مصر فى عهد (أمنحتب الثالث) إلى ذروة المجد والقوة ، فقد عمل ذلك الملك على تقويتها ورفع شأنها بوساطة الاصلاح الداخلى والمعاهدات السلمية . وقد رأى أنه فى حاجة إلى معبد جديد يعبد فيه شخصه كما صنعت (حتشبسوت) من قبل ، فبنى لنفسه معبد الأقصر الذى يعتبر فخر الدولة الحديثة وأقصى ما وصل اليه الرقى الفنى فى عهدها وفى غرفة صغيرة بالمعبد تعرف بغرفة الميلاد نقش (امنحتب) قصة الميلاد السماوى ،

تماثيل تحتمس الثالث
فى الكرنك

خنيمو — *Khnemu*

خنيمو أو (الخالق المصور) من أقدم آلهة المصريين القدماء ، يمثلونه برأس كبش ، ويروى عنه أنه يتمتع ببعض مميزات (أمون رع) و (بتاح) ويشترك مع (بتاح) فى لقب (خالق البشر) ويمثلونه فى معبد فيله يصنع إنسانا من الطين على عجلة صانع الفخار . ويروى أنه جمع الاجزاء المتناثرة من جسد أوزيريس بعد قتله ، ويطلق عليه أب الآلهة وهو فى هذا يماثل (أمون رع)

تمثالا ممنون

البلاد السماوى

وخلاصتها أن الأله (أمون رع) رأى أم (أمنحتب) فاستملحها وأحبها . وساعدته (ايزيس) على الاتصال بها فكانت النتيجة أن ولد (امنحتب الثالث) وهذه القصة كتبها الملك ليجعل نفسه ملكا شرعيا من سلالة الآلهة . ثم إنه زاد فى معبد الكرنك ووصل المعبدين بطريق الكباش الشهير .

وبنى غرب طيبة معبداً لم يبق منه إلاَّ التمثالان اللذان أطلق عليهما أيام الرومان (تمثالا ممنون) وبنى قرب ذلك المعبد قصراً

زينه بركة صناعية كان يخرج اليها مع زوجته (تاى) فى قارب صغير للنزهة.

مظاهر حكمه

وعلى الجملة فان مصر فى أيامه حافظت على أملاكها فى سوريا وآسيا وامتلأت خزانتها بالأموال. وهذا شجع على نهضة فى الفن تعتبر أقصى ما وصلت اليه الدولة الحديثة. وقد ازدهرت تجارة مصر في البحرين الأبيض والأحمر وجلبت خيرات آسيا ونفائسها إلى مصر وزادت الرفاهية وعمّ السلام.

الدول المجاورة

ولكن فى أواخر أيامه طمعت دولة الحيثيين فى أملاك مصر وأغارت على سوريا من جهة الشمال، ثم أغار عليها من الجنوب بدو الصحراء، ومات (امنحتب) قبل أن يتمكن من صد غارات الاعداء

امنحتب الرابع (اخناتون)

وكانت البلاد بعد موته فى حاجة إلى ملك قوى يقود الجيوش ليحمى حدودها ويحافظ على كيانها ويحتفظ بأملاكها. ولكن لسوء حظ مصر تولى بعده ابنه (امنحتب الرابع) وكان فيلسوفا كثير التعمق فى الخيالات والتفكير فيما وراء المادة، فترك سياسة الدولة وانصرف إلى الاشتغال بالفلسفة والدين.

آراؤه الدينية

وكان يرمي (امنحتب الرابع) خلال السنوات القليلة التى حكمها إلى شيء واحد هو (تحرير الدين) واطلاقه من عبادة الاوثان والآلهة الكثيرة. والتخلص من نفوذ كهنة (آمون) الذين كانوا قد جمعوا مالا وعدّدوه، فأعلن أن آمون ورع وكافة آلهة مصر أصنام صماء، وأن هناك ربًا عظيما له ما فى السموات وما فى الأرض، وأن ذلك الرب لا يصح أن نرمز له بأشياء من صنع الانسان.

تمثال رأس إخناتون مصنوع من الحجر الجيرى
عثر عليه فى تل العمارنة

وأخيراً توصل الملك الفيلسوف إلى أن الشمس هى مبعث الحركة والحياة. وإلى أن الله هو المحرك لها والمحتجب وراءها. فرمز له بقرص الشمس تتدلى منه أيد قابضة على مفاتيح الحياة ؛ وسمى ذلك الاله (أتون) ومعناه روح الشمس . وأعلن شعبه أنه لايسمح أن يوجد دين آخر إلى جوار دين أتون . وجاوز هذا إلى بناء مدينة جديدة تكون مقراً لعبادته أسماها (اخيتاتون) أو (أفق أتون) موقعها الآن تل العمارنة ؛ ثم محى اسم أمون من المعابد والنقوش القديمة وسمى نفسه (إخناتون) ومعناه (مجد أتون) إلى غير هذا من التغييرات الكثيرة التى قصد بها تدعيم دينه الجديد .

أناشيد اتون

وانصرف (اخناتون) مدة حكمه إلى وضع الأناشيد لمعبوده الجديد ؛ وكلها تدل على اعتقاد وثيق بوحدانية الخالق ؛ فمن ذلك قوله يخاطب الأله أتون : —

« إخناتون » وزوجته أمام معبودهم « أتون »

وقد تساقطت الأشعة من قرص الشمس تشع عليهما الحياة

« أيها الأله الأحد الذي لاشريك له إلى الأبد ، لقد خلقت الأرض والناس والأنعام وحدك . . الخ »

الاستياء العام

وكان المفكرون من قادة الأمة ورجال السياسة والكهنة العظام مستائين لذلك التغيير ، وخشى الجند والضباط أن تضيع أملاك مصر التى فتحوها بدمائهم ، ولكن برغم ذلك الاستياء فقد كانت شخصية الملك مقدسة لا يمكن معارضتها ، ولذا ظل الدين الجديد قائما مدة حياة إخناتون .

الاملاك الاسيوية

وكانت نتيجة انصراف الملك عن السياسة والحرب أن قامت الفتن فى أملاك مصر الأسيوية وساخت أجزاء كثيرة منها وعمت الفوضى وساءت الحال .

توت عنخ آمون غير مقر

وبموت إخناتون تولى عرش مصر زوج ابنته (توت عنخ أمون) وكان فى أول أمره يميل إلى دين أتون ، ولكنه وجد نفسه وجهاً لوجه أمام عاصفة شديدة من الاستياء من جانب الكهنة والجند وعامة الشعب ، فرأى أن الحكمة تقضي باعادة الدين القديم ثم إنه نقل مقر الحكم الي طيبة بلد آمون ، وبالغ هو وخلفاؤه فى إرضاء كهنة آمون فبلغ نفوذهم السياسى منذ ذلك الوقت مبلغاً عظيما

ورغم أن (توت عنخ آمون) من الملوك الذين لا أثر لهم فى الفتوح ، فان شهرته قد عظمت فى السنوات الأخيرة لمناسبة العثور على قبره عام ١٩٢٢ على يد المنقب الشهير (لورد كرنارفون) ومساعده (المستر كارتر) .

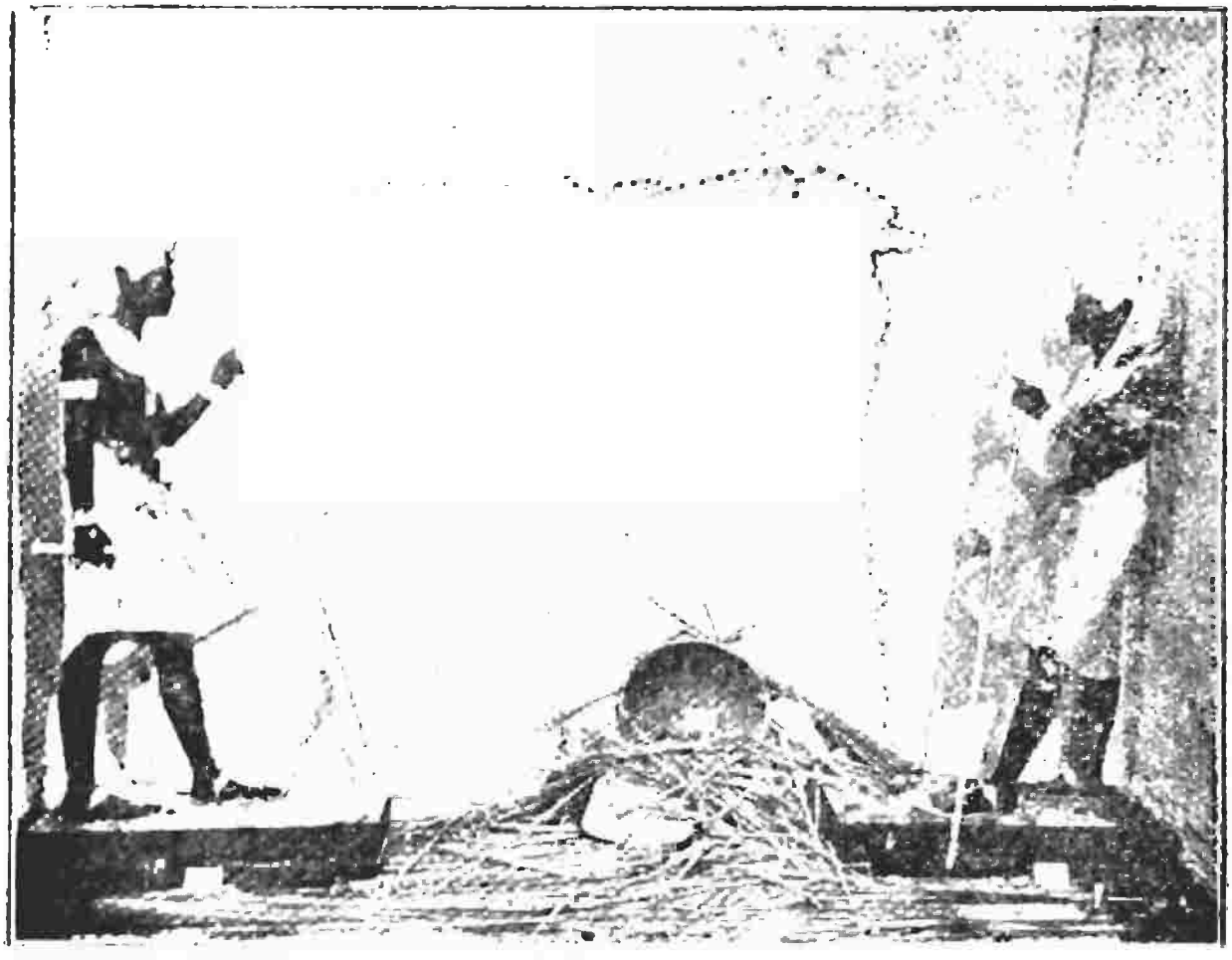

تمثالان بالحجم الطبيعى الملك (توت عنخ أمون) وجدا عنـد مدخل غرفة الدفن على الوضع الذى تراه ، وقد أخذت هذه الصورة قبل فتح الحجرة ويرى الجزء الذى هدم من الحائط للوصول إلي التابوت وحوله نقط، وهما يمثلان الملك ماشيا وقد أمسك فى يسراه قضيباً وفى يمناه صولجانا ولم يلبس إلا تنورة قصيرة ونعلين ، وقد تحلى بالاساور ووضع على رأسه الثعبان الذى هو رمز الحكم . والتمثالان من الخشب بعض أجزائها مطلى بطلاء أسود وبعضها مذهب ، أما حافة الرموش والحواجب فهى من الذهب ، وأما الثعبان والنعلان فهي من البرنز المطلى بالذهب .

مقبرة توت عنخ

ووجدت المقبرة كلها حافلة بالأثاث والآنية والتحف الجميلة ، وكان مدخلها الخارجي مختوماً وأمامه تمثالان من الخشب ، ويؤدى هذا المدخل إلى غرفة الدفن التى وجدت فيها جثة الملك مودعة فى ثلاثة توابيت على شكل مومياء الواحد داخل الآخر ، وقد وضعت كلها داخل تابوت ضخم من الحجر الجيرى .

أما التابوت الداخلى الذى أودعت فيه الجثة فهو من الذهب الخالص ولا يقل وزنه عن ١١٠ كيلو جراماً ، ووجدت داخله المومياء محاطة بالجواهر والحلى النفيسة ، ولا تزال المومياء فى قبرها بالأقصر ولا يحتمل نقلها إلى القاهرة ، أما نفائس المقبرة فقد نقلت كلها إلى متحف القاهرة .

أثاث القصر

ويظهر أنه بعد موت (توت عنخ آمون) نقل الكثير من أثاث قصره إلي قبره ، لأن معظم الأشياء التى عثر عليها ليست من النوع الذى اعتاد المصريون وضعه فى المقابر .

الاسرة التاسعة عشرة ورمسيس الاول

يقول بعض المؤرخين إن مؤسسها (حر محب) ويقول البعض إن مؤسسها (رمسيس الأول) الذى لا نعرف عنه إلا قليلا ، والذى لا بد وأن يكون العرش قد آل إليه عن طريق زوجته ، وأهم آثاره (بهو الأعمدة) فى معبد الكرنك ويعتبر من أهم ما خلفته الدولة الحديثة ، وتولى رمسيس وهو مسن فأشرك معه ابنه (سيتى الأول)

سيتى الاول

وبدأ (سيتي الأول) حكمه بحملات موفقة إلى سوريا فأعاد ملك مصر فيها وأرجع الأجزاء التي سلخت أيام (إخناتون) . ثم

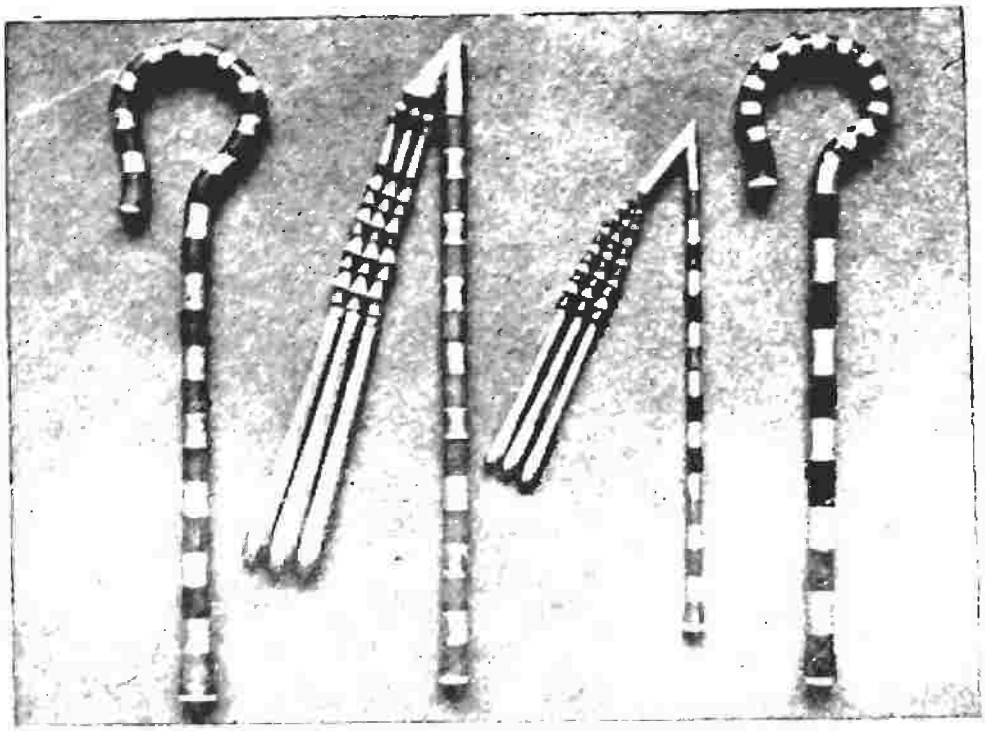

خطافان بينهما مدقتان وهى كلها من شارات الملك يمسكها فرعون فى كثير من المناسبات وجدت فى قبر الملك توت عنخ أمون

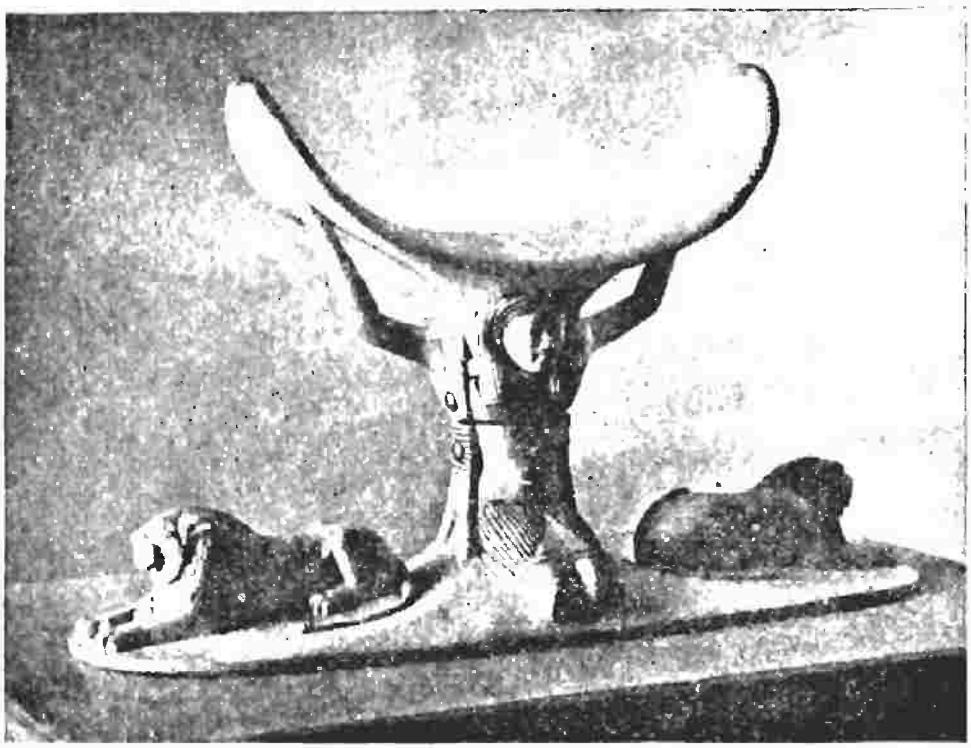

وسادة جميلة من المرمر للملك توت عنخ أمون

قوى البحرية وجعل بعض موانىء سوريا محطات للأسطول المصرى

جلب الذهب

ووجد (سيتى) نفسه فى حاجة إلى الذهب فذهب بنفسه لكشف طريق الصحراء الموصل إلى النوبة وأمر بحفر الآبار ورسم الخرائط لتسهيل الرحلة فى الصحراء ، وقد عثر على إحدى هذه الخرائط مرسومة على ورق البردى وتعتبر أقدم خريطة فى الوجود ، وهي محفوظة الآن فى متحف تورين .

آثاره

وأهم آثار ذلك العصر معبد (سيتى الأول) الذى أقامه للاله (أوزيريس) والذى خصَّص فيه غرفاً لتخليد ذكرى ملوك مصر الأقدمين ، فهناك نجد أسماءهم محفورة على حوائط المعبد ، وتعتبر هذه النقوش والكتابات من أهم مصادر تاريخ مصر القديم .

رمسيس الثانى وشهرته

إن نظرة واحدة إلى مومياء (رمسيس الثانى) التي عثر عليها فى قبره تدل على أنه كان ملكا عظيم الشخصية ، كما أن تماثيله التى تعتبر أضخم ما ترك قدماء المصريين تدل على أنه كان يميل إلى تخليد ذكراه بكل وسيلة ممكنة ، وإذا نحن نظرنا إلى أعماله الحربية والاصلاحية نجد أنها تقل فى قيمتها عن أعمال تحتمس الثالث وأحمس ومينا ، ولكن شهرته تفوق شهرة جميع ملوك مصر ، ويرجع هذا إلى أنه كان ينقش اسمه على المعابد القائمة وينسبها لنفسه ، بل جاوز هذا إلي محو أسماء الملوك السابقين وكتابة اسمه مكانها ، ومن أجل آثاره الكثيرة أطلق عليه (رمسيس الأكبر)

مبانيه

وفوق هذا فقد أقام رمسيس مبانى عظيمة نقش عليها أخباره

معبد سيتى الأول فى أبيدوس

لم يتم بناؤه إلا بعد وفاة سيتى إذ أقام فيه رمسيس الاعمدة والنقوش تخليداً لذكرى والده ، وعلى الاعمدة نقوش دينية كثيرة للملك سيتى مع الأله اوزيريس ، وعلى الحائط الكبير جنوب المدخل الاوسط نقوش يثبت فيها رمسيس مقدار عنايته بتخليد ذكرى والده وكيف أنه أقام له اتماثيل فى طيبه ومنف . وفى المعبد بهو يحتوى على ٢٤ عموداً في صفين وبهو آخر به ٣٦ عموداً فى ثلاثة صفوف وفى ذلك البهو الأخير نجد أسماء ملوك مصر محفورة على الصخر من عهد مينا إلى عهد سيتى الاول .

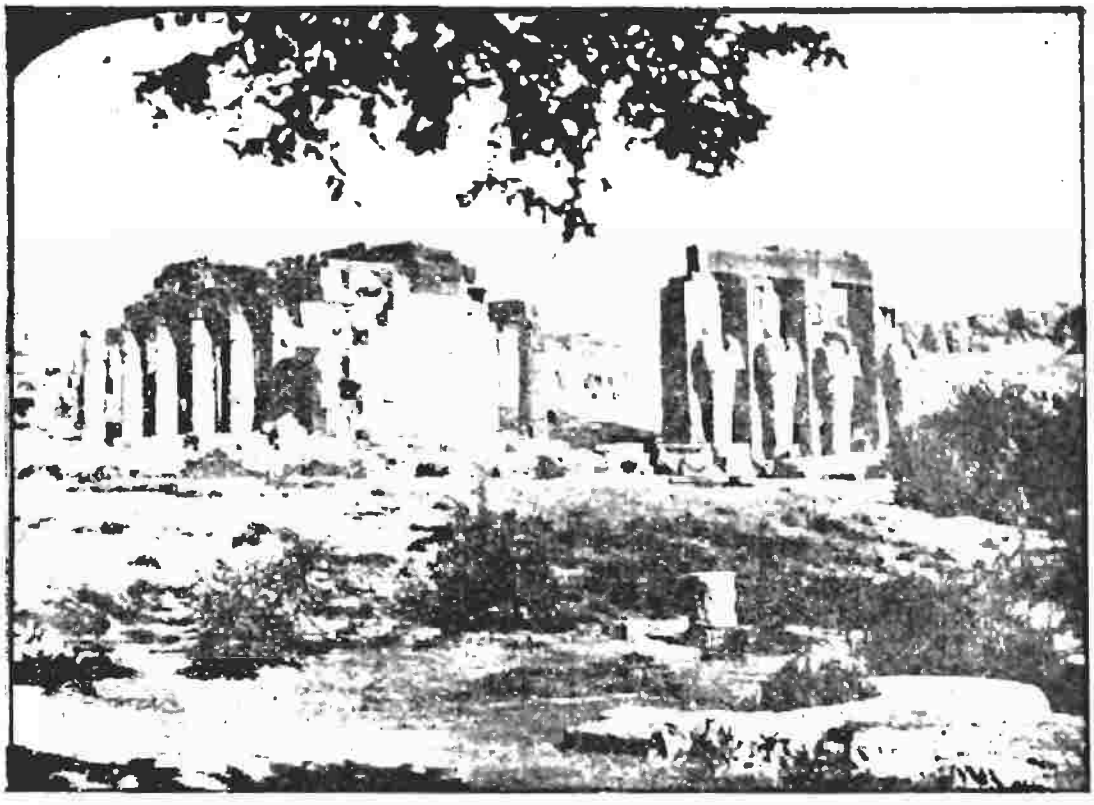

« الرمسوم »

والتصاراته . فنجده فى (أبي سمبل) من أهم آثار مصر الفنية ، ومعبده الجنائزى فى طيبة المسمى (الرمسيوم) لاشك أعظم المعابد الكثيرة الممتدة على حافة الصحراء . ويظهر أن هذا راجع لأنه لايزال حافظا لرونقه ولم يتهدم منه إلا القليل . ولأن عليه رسوما وكتابات تتضمن وصف الحروب بين رمسيس والخيثيين .

إبو الاعمدة

وأتم (رمسيس) بهو الأعمدة الذى لم يعش أبوه (سيتى) ليتمه فى معبد الكرنك . وبنى الردهة الأمامية لمعبد الأقصر . وله فوق هذا آثار كثيرة فى الدلتا ، لأن رمسيس وخلفاءه فضلوا الأقامة فى (تانيس) بلد الهكسوس القديم بينما كانت طيبة العاصمة الدينية للقطرين .

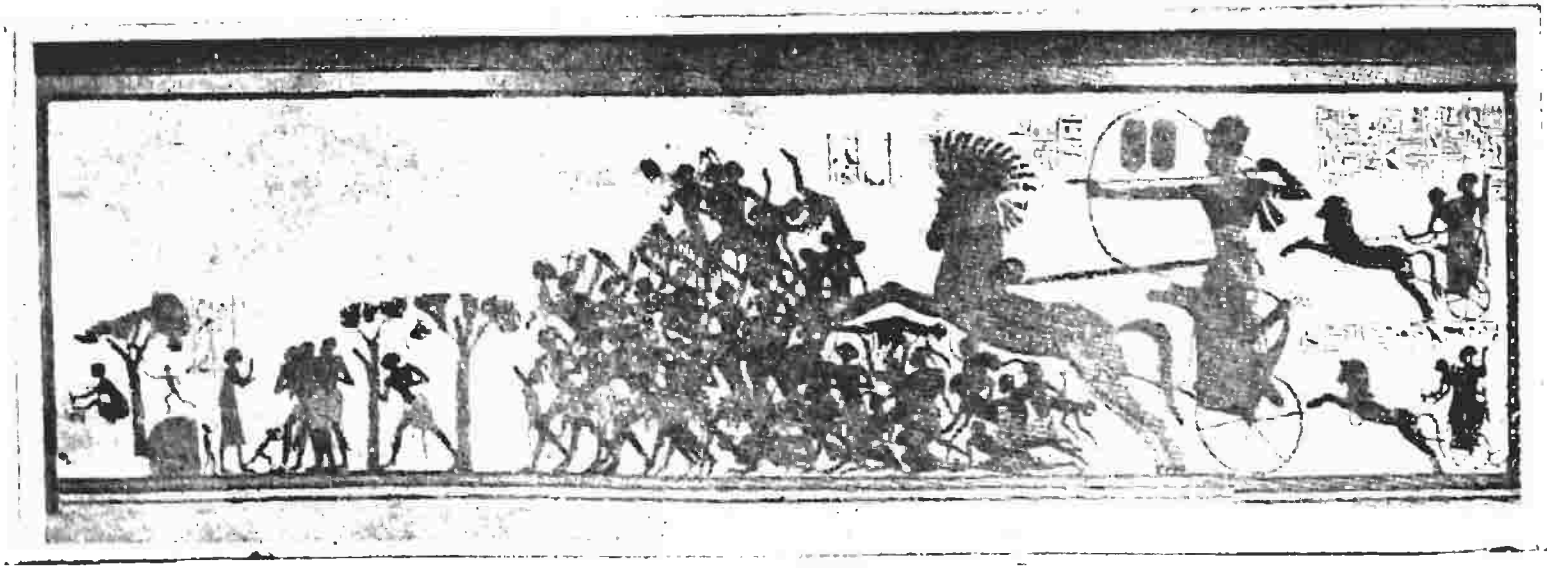

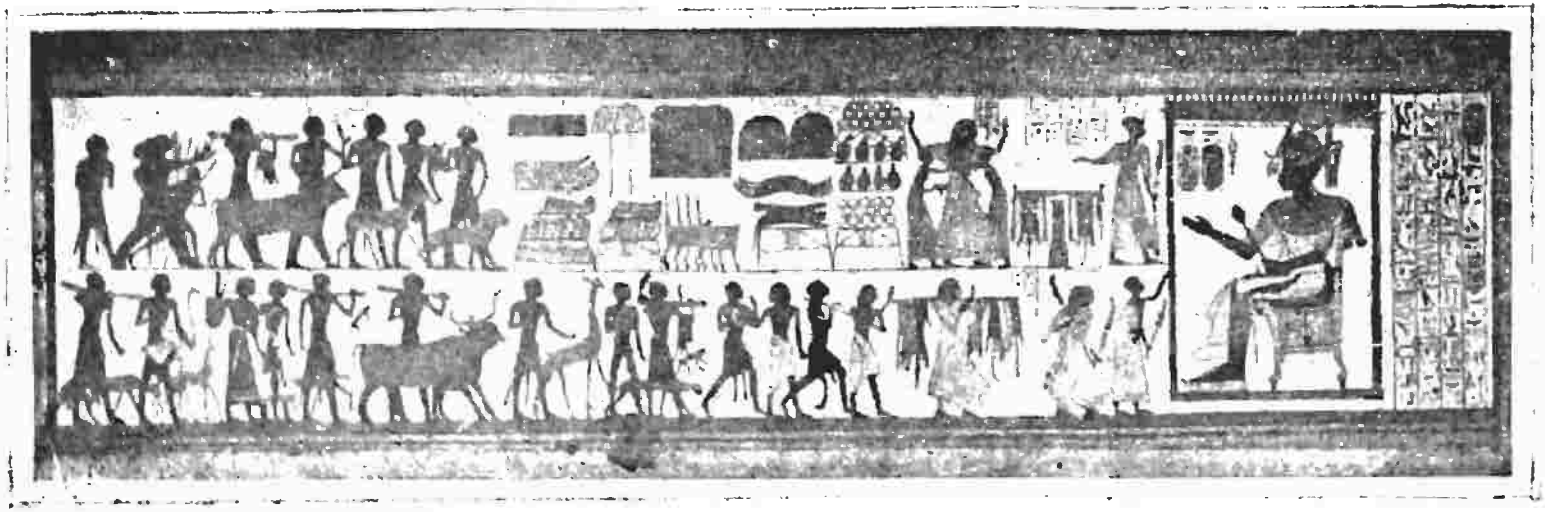

في الرسم العلوى رمسيس الثانى فى عجلته وقد انتصر علي الاتيوبيين ومن خلفه اميران مصريان فى عجلتيهما ـ أما الرسم الاسفل فيمثل رمسيس على عرشه يتقبل من النوبيين الجزية المكونة من الذهب وجلد الفهد والقردة والثمور والزراف والنعران والغزلان والسباع والنعام والتيتل والعاج وغيرها من خيرات بلادهم .

تانيس

ويرجع السبب فى اختيار (تانيس) مقراً للحكم إلى أن (رمسيس) كان يرغب فى تأسيس إمبراطورية مصرية واسعة تضم الشام والبلاد الأسيوية الأخرى ، لذا كانت تانيس أصلح للحكم لقربها من البلاد الأسيوية .

حادثه

وقد صادف (رمسيس) فى إحدى غزواته لسوريا حادثاً خطيراً وصفه فيما بعد على حوائط الكرنك والأقصر والرمسيوم، ذلك الحادث هو وصف الحرب بين رمسيس وبين (متيلا) ملك الحيثيين الذى تحالف مع أمراء الشام ضد فرعون مصر ، وكانت بين الفريقين معركة قادش الشهيرة .

واقعة قادش

وتبدأ قصة هذه الحرب بأن أسر المصريون اثنين من بدو الصحراء كانا فى الحقيقة جاسوسين ارسلهما (متيلا) ليوهما (رمسيس) بمعلومات كاذبة . فاخبراه أن أعداءه قد أخلوا قادش وتقهقروا نحو حلب وما كاد (رمسيس) يسمع هذا حتى انطلق بفرقة واحدة من جيشه ، بل أكثر من هذا أنه ترك الفرقة وتقدم برجال حرسه الخاص معتقداً أنه لن يصادف عقبة فى سبيله إلى أبواب قادش ، ولكن الحيثيين انقضوا على فرقته والجأوها إلى الفرار ، وأحاطت عجلاتهم بالمدينة من كل ناحية لتمنع فرار فرعون .

فى ذلك الموقف المروّع ظهر رمسيس بمظهر البطولة الحقة ، فبدل أن يسلم نفسه لعدوه فكر فى الخلاص ، ولم يجد منفذا الاّ أن يكون جريئاً سريع الحركة . وأخيراً صمم على الهجوم على ناحية ضعيفة من صفوف العدو ، فاندفع بعربته بين جنود كان

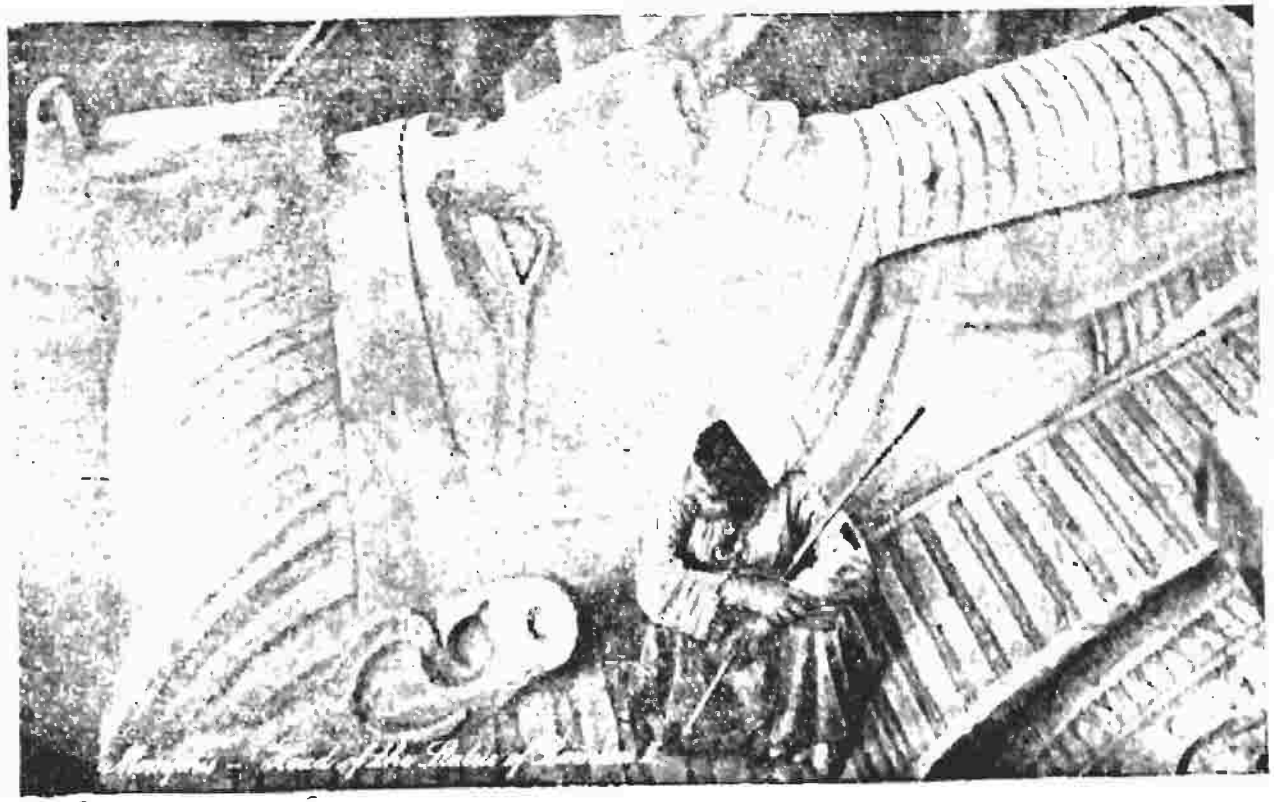

رأس التمثال الضخم الذى أقامه الملك رمسيس الثانى عند مدخل معبد الإله بتاح فى منف . كشف عنه المنقب كافيليا وزميله سلون سنة ١٨٢٠ وهو لا يزال ملقى على ظهره منذ ذلك الوقت فى الطريق بين البدرشين وسقارة ولا يقل طول التمثال عن ٤٢ قدماً وهو منحوت من الحجر الجيرى المحبب يمثل الملك رمسيس الثاني وقد أحاط وسطه بحزام فيه خنجر وفي يد الملك ملف كتب عليه

(رمسيس محبوب آمون)

يقودهم ملك حاب الذى تقهقر إلى ناحية النهر، وتمكن (رمسيس) من حجز أعدائه هناك حتى وافاه جيشه ، ولا يعتبر هذا انتصاراً لمصر ولكن نجت مصر وسلم فرعونها من هزيمة كانت محققة .

وبعد هذا قاد (رمسيس) حملات أخرى إلى سوريا ؛ ولكن قوة الحيثيين كانت عظيمة لدرجة لم تمكنه من السيطرة على البلاد كلها

المعاهدة

وبموت « متيلا » عقد «رمسيس» معاهدة صداقة مع ملك الحيثيين الجديد« خيت أزار» نقشت شروطها على لوحة من الفضة وأرسلت إلى مصر ، ولا بد أن تكون قد كتبت نسخة أخرى فى مصر وأرسلت إلى الحيثيين ، ولم يعثر المنقبون على هاتين اللوحتين ، ولكن نقش « رمسيس » صورة المعاهدة على حوائط معبده بطيبة ، وظلت شروط هذه المعاهدة مرعية بقية أيام « رمسيس »

وبعد هذا بثلاثة عشر عاما زار « خيت أزار» مصر وتزوج رمسيس باحدى بناته تدعيماً لروابط الصداقة بين البلدين .

املاكه الجنوبية

وليس معنى هذا أن رمسيس فقد سلطانه على أملاكه الجنوبية ، فقد كان يخضع ثورات النوبة ويسيطر على ملوكها وولاتها ، وكانت تحمل اليه الخيرات من هذه البلاد البعيدة .

وأحسن تمثال لرمسيس محفوظ الآن فى متحف تورين ، ولكن متحف القاهرة حافل بآثاره وتماثيله ، ويوجد فى طريق سقارة من البدرشين تمثالان هائلان أقامهما رمسيس على مدخل معبد شيده للاله « بتاح» وبينهما تمثال كبير لأبى الهول رفع من

نماذج من أعمدة المعابد المصرية القديمة

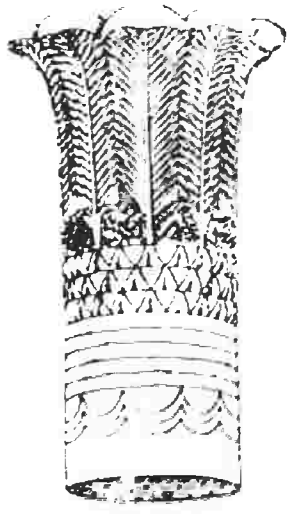

عمود زينت قمته برءوس
هاتور

عمود مزخرف فى معبد فيله

عمود زينت قمته برءوس على
هيئة النخيل

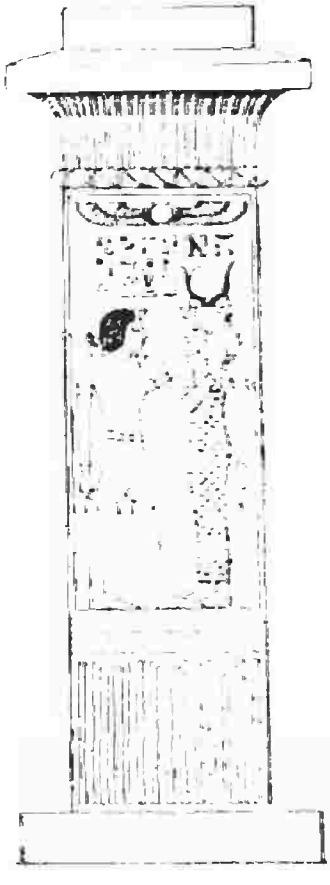

اللوتس — الجنب وهاتور
من أعمدة المنحوتة الثالث تعبد الأقصر

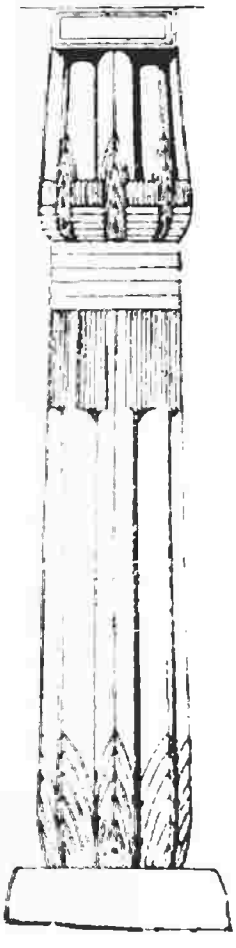

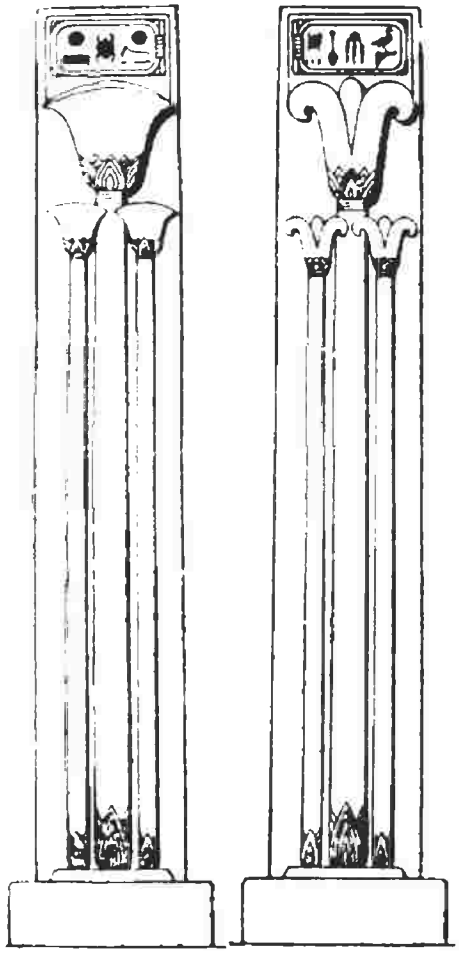

اللوتس — البردى
من أعمدة تختمس الثالث فى الكرنك

رأس تمثال
الملك منفتاح
محفوظ في
متحف القاهرة

بين الرمل في سنة ١٩١٢

منفتاح

وبعد أن حكم «رمسيس» ٦٧ عاماً مات وهو في سن التسعين تاركاً الملك لابنه الأمير «منفتاح» الذي ورث نشاط والده ومقدرته في الحكم. وكان لا يقل عنه حباً في الشهرة فمحا أسماء الملوك ونقش اسمه على المعابد والمباني القديمة.

فرعون موسى

وترتكز شهرة «منفتاح» على أنه الفرعون الذي خرج في أيامه بنو إسرائيل من مصر كما يقول الكثير من المؤرخين، ولكن هذا القول لا يصح الاعتماد عليه من الوجهة التاريخية،

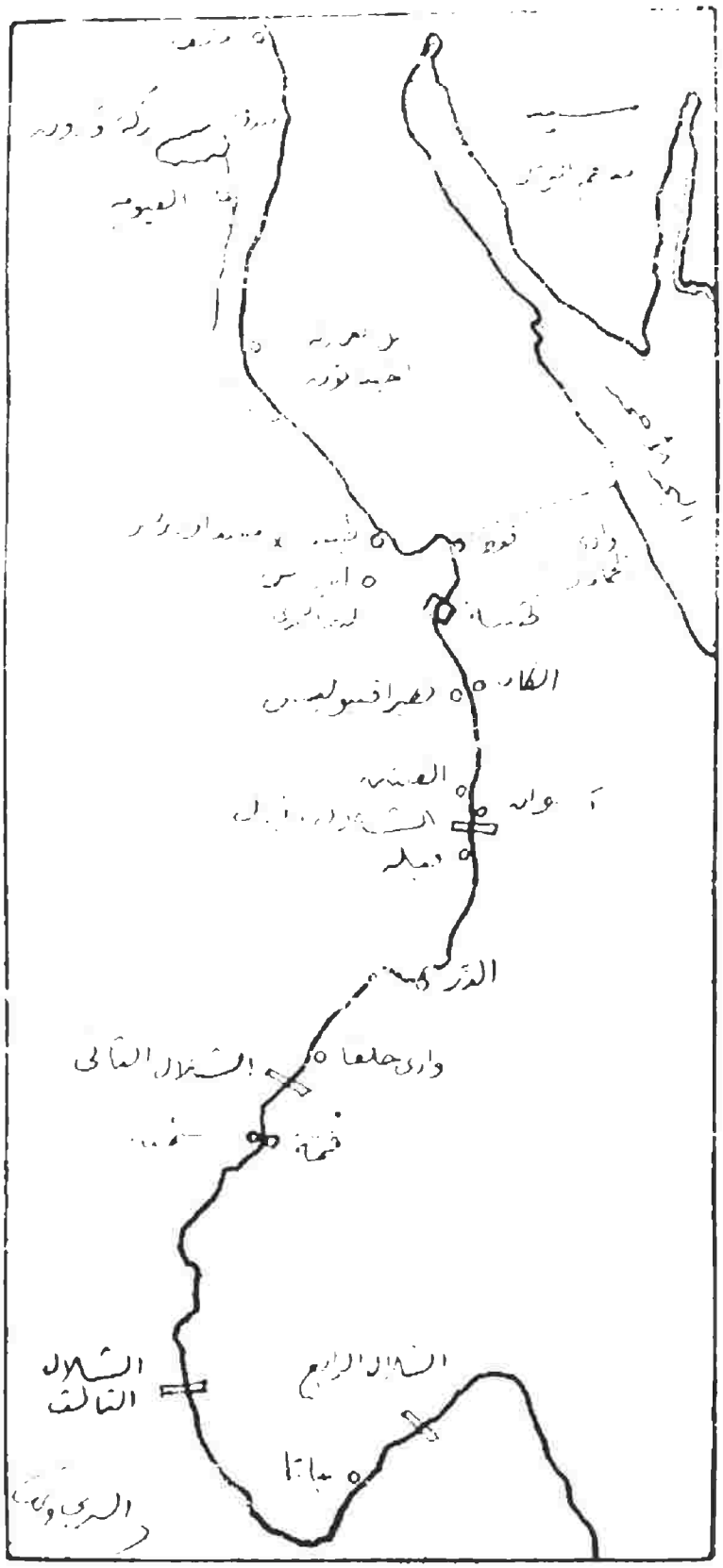

« الامبراطورية المصرية فى الجنوب »

لأن مرجعنا فى هذا الموضوع هو الكتب المقدسة ، فمثلا التوراة والقرآن يقولان بأن بنى إسرائيل خرجوا من مصر وإن فرعون وجنوده غرقوا ، ولكن من هو ذلك الفرعون ؟ لم تبد الكتب المقدسة ذكراً لاسمه ، وعلى هذا لا يصح التأكيد بأنه (منفتاح)

حروبه

ولمنفتاح حملات كثيرة وجّهها إلي سوريا لأخماد الثورات التى قام بها أمراؤها ، كما أنه حارب اللوبيين الذين أغاروا على حدود مصر الغربية ، وأهم ما يؤثر عن (منفتاح) أنه احتفظ بحدود مصر ولم يمكن جيرانها من غزوها ، وقد نقش على آثاره أخبار انتصاراته على الاعداء .

الحالة الفنية

أما من حيث الفنون فقد انحطت فى عهده ، ونسب الملك لنفسه لوحات وتماثيل ومعابد كان قد اقامها « امنحتب الثالث » وبالاختصار بدأت البلاد فى الانحطاط منذ انتهى حكم «منفتاح»

الاسرة العشرون

ويعتبر «رمسيس الثالث» مؤسساً للأسرة العشرين الطيبية ، وهو آخر فرعون عظيم ، إذ حكم القطرين وحارب أمراء سوريا وأخضعهم لسلطانه وهزم اللوبيين فى الغرب ، وعلى حوائط قبره فى وادى الملوك صور للأسرى الاجانب الذين انتصر عليهم ، ووجدت فى قبره مومياؤه ونقلت الى متحف القاهرة .

كهنة أمون

وبلغت نفائس الكرنك والاراضي الموقوفة على كهنة أمون أقصاها فى عهد «رمسيس الثالث» لذا عظم نفوذ كهنة أمون وظل يزداد فى عهد الملوك الضعفاء الذين خلفوه حتى تمكن أولئك الكهنة من تأسيس الأسرة الحادية والعشرين .

موكب تشييع الجنازه

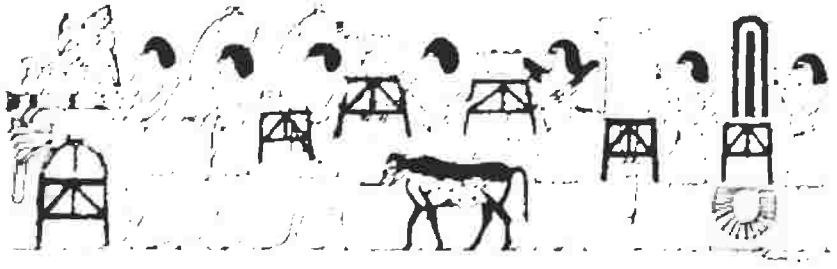

الخدم فى المقدمة يحملون الزهر والجرار والطير والخوص والفاكهة ويقود أحدهم عجلا للتضحية

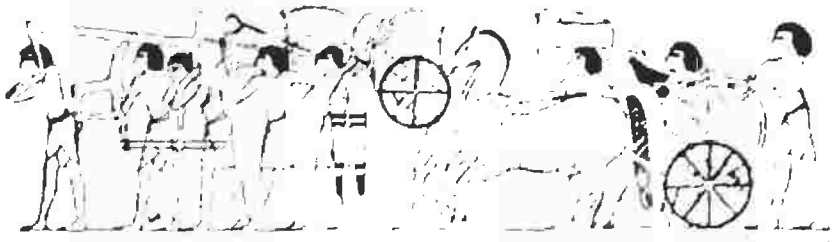

يلى ذلك الاثاث الذى يوضع مع الميت كالمقاعد والسرير والعربة وغيرها

ثم آنية العطر وصندوقها وصندوق كبير للتمثالين ثم التمثالان وقناع من الورق المذهب

ثم الاسلحة وبعض التماثيل على هيئة المومياء والطير

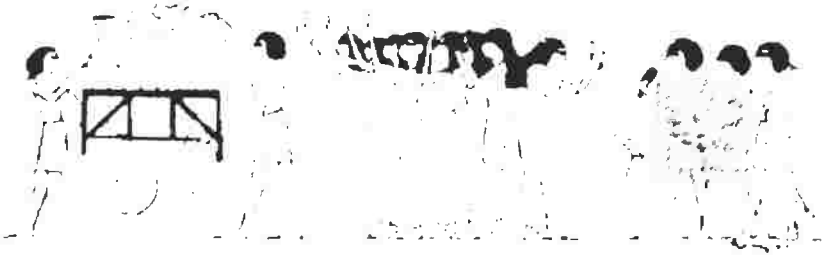

يلى ذلك أوانى العطر وخلفها الناحات يلطمن وجوههن ووراءهن ثلاثة من الكهنه

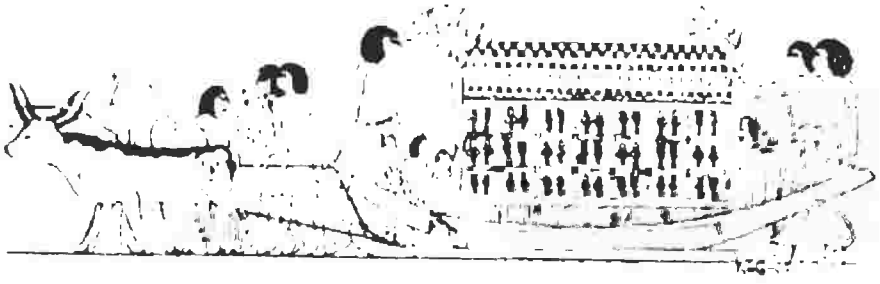

وأخيرا الجنازه وقدوضعت فى قارب يجره عجلان وحوله نساء يحملن أزهار اللوتس

حفلة فتح الفم عند باب القبر

عند ما تصل الجنازة إلى القبر تقام حفلة فتح الفم ، والرسم الذى تراه فى الصحيفة المقابلة لهذا يوضح لك هذه الحفلة ، ففى أعلا الرسم من جهة اليسار نسوة يلطمن خدودهن وخلفهن شاب يحمل فى يمناه صندوق الميت وفى يسراه عصاه وعلى رأسه كرسيه و أمامهن « خرهب » رئيس حفلات الجنازة يقرأ الادعية والصلوات على روح الميت من ورقة البردى المنشورة بين يديه .

وفى وسط الصورة رسم يمثل فتح الفم وفيه تقف مومياء الميت المدعو « هو ـ نفر » وقد ركعت عند قدميه زوجه المسماة « ناشا » وابنته تودعان فقيدهما الوداع الأخير ، وخلفهما ثلاثة من الكهنة يلبس واحد منهم جلد نمر ويمسك فى يمناه إناء يسكب منه على قبر الميت وفى يسراه مجمرة البخور ، ويحمل الكاهن الثانى إلى الميت اناء المرهم ، أما الثالث ففى يده آلة يقربها من وجه الميت كأنه يريد أن يفتح فمه ، أما اللوحة التى خلف « انوبيس » اله الموتى الواقف عند باب القبر فقد كتبت عليها بالهيروغليفية عبارة ترجمتها ما يأتى :

« تعاليت يا أوزيريس ، يا إله الخلود المنتشر في الأبدية ، يا إله العبادات ورئيس مجلس الآلهة . وتعاليت يا انوبيس يا ساكن القبور ، أيها الاله العظيم رب الدار المقدسة ، الا تسمحان لى أن ادخل العالم السفلى وأخرج منه واتبع اوزيريس فى كل حفلاته ، أنا روح أوزيريس الذى أنعم عليه ربه أنا « هو ـ نفر »

أما فى أسفل الصورة فترى بقرة وعجلا وكاهنا يحمل إناء وكاهنا آخر يحمل فخذ عجل وأمامهما مائدة عليها الهدايا وصندوق القبر ومائدة أخرى عليها جميع الأدوات التى تستعمل في حفلة الجنازة مثل أدوات فتح الفم وفخذ العجل والآنية والريشة وصناديق التطهير وجلد النمر وغيرها .

ويحاسب الميت عن أعماله ، فان كان بريئا دخل الجنة مع الارواح السعيدة ، وهى جنة اشتهرت أرضها بالخصوبة ، وارتفاع القمح فيها سبعة اذرع منها ذراعان طول السنبلة وحدها ، وهناك تزرع الارواح وتحصد وتخزن الحبوب ، وأن شاءت انابت عنها فى هذا العمل تماثيل من الخشب أو الحجر هي التى يضعونها فى القبر ، وبذلك يتفرغ الميت للتمتع بالمأكل والطرب وأنواع النعيم الأخرى .

جنازة مصرية وصلت الى باب التمرجيت تقام حفلة (فتح الفم) منقولة عن ورقة بردية مخطوطة فى المتحف البريطانى بلندن رقم ٩٩٠١

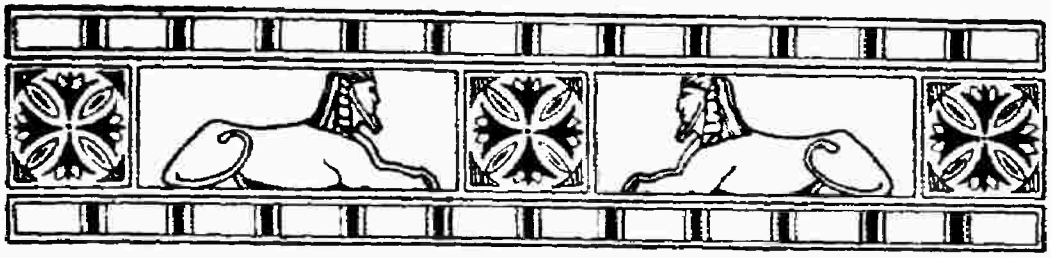

١٠ — عهد الاضمحلال

أسباب الضعف

تعتبر فتوح (رمسيس الثانى) أقصي ما وصل إليه اتساع الامبراطورية المصرية ، وتتلخص عوامل الضعف الذى لحق مصر بعد الأسرة التاسعة عشرة فيما يأتى : (١) زيادة سلطان الكهنة الذين استولوا على أوقاف المعابد واستأثروا بجانب كبير من النفوذ السياسى (٢) أن الملوك الضعفاء واجهوا أمامهم مشكلة الدفاع عن حدود الامبراطورية الواسعة فاستعانوا بالجنود المرتزقين من اللوبيين الذين كانوا فيما بعد خطراً على سلطانهم (٣) أن دولة الاشوريين كانت إذ ذاك آخذة فى أسباب القوة وكانت تطمع فى امتلاك مصر ، وهكذا اجتمعت هذه العوامل وساعدت على هدم الامبراطورية .

الأسرة الحادية والعشرون ١٠٧٥ - ٩٥٠ ق.م

قلنا إن زيادة نفوذ كهنة أمون فى عهد (رمسيس الثالث) وخلفائه أدى إلى تمكنهم من تأسيس الأسرة الحادية والعشرين التى أسسها رئيسهم (حرحور) ومنذ ذلك الوقت جمع الملوك بين السلطتين الدينية والسياسية ، ولكن يظهر أن ملوك الكهنة كانوا يحكمون الصعيد بينما كان يحكم الدلتا ملوك من أمراء الشمال مقرهم (تانيس) ثم صاهر الكهنة أمراء الشمال وكان الجميع يدفنون فى طيبة .

الكهنة فى النوبة

وكان اللوبيون قد عظم نفوذهم فتمكنوا من إسقاط ملوك الكهنة وأسسوا الأسرة الثانية والعشرين، ثم هرب ملوك الكهنة من وجههم بكتبهم ونفائسهم التى كانت تملأ معابد (أمون رع) واستوطنوا بلاد النوبة حيث وجدوا الشعب الأتيوبى الهادىء المطيع فحكموه وعلموه دينهم وبلغ نفوذهم هناك مبلغاً عظيما.

الملوك اللوبيون ٩٠٥ - ٧٥٠ ق.م.

وأسس الأسرة الثانية والعشرين القائد اللوبى (شيشنق) أو (شيشاق)، وكانت عاصمته بوبسطة (قرب الزقازيق الحالية) حيث توجد إلى الآن بقايا معبد أقامه أحد ملوكهم (أسركون) لأحد آلهتهم المسمى (سدهب — *Sed Heb*) ورغم أنهم قضوا على ملوك الكهنة فانهم كانوا يعبدون (أمون) ويحترمون تقاليد المصريين وعاداتهم.

ويؤثر عن (شيشنق) أنه بنى الردهة الأمامية فى معبد الكرنك، وأنه غزا فلسطين وسلب مدينة (أورشليم) وحمل إلى مصر كنوز سليمان الذهبية، وأخبار هذه الحملة مدونة فى الكتاب المقدس ومنقوشة على حوائط معبد الكرنك، ولا تدل آثار ذلك العصر على شىء من التقدم الفنى.

التفكك السياسى

ولم يستطع الملوك اللوبيون حكم البلاد كلها فاستقل كثير منهم ومن أمراء الاقاليم وعادت الحال الى التفكك السياسى القديم. وهذا مهد لدخول الاتيوبيين مصر من جهة الجنوب.

حكم الاتيوبيين

عظم نفوذ الكهنة فى بلاد النوبة (أتيوبيا) وحكموها وأقاموا بها المعابد ونشروا المدنية المصرية فيها، ولما أن ضعفت

مصر فى أواخر أيام اللوبيين تمكن الاثيوبيون من تأسيس الاسرة الثالثة والعشرين وكانت عاصمتهم (نباتا) قرب الشلال الرابع .

ونصَّب هؤلاء الاثيوبيون أنفسهم حراساً على المدنية والتقاليد المصرية . فقد عظم شأن أمون فى طيبة وازدهرت الفنون فى عهدهم.

وفى السنوات الأخيرة عثر الدكتور (ريزنر — *Reisner*) الذى باشر التنقيب فى السودان باسم متحف بوستون الامريكى على آثار ملوكهم داخل أهراماتهم . وقسمت الآثار التى عثر عليها بين متحفى بوستون والخرطوم ولم يكن لمتحف القاهرة منها نصيب.

اهم ملوكهم منحى

وأعظم ملوكهم (بعنخى) الذى فتح مصر وأخمد بنفسه الثورات التى قامت فى الدلتا وأخضع أمراء الأقاليم لسلطانه ثم زار معبد (رع) فى هليوبوليس وقدم له الشكر على الانتصارات التى أحرزها .

طهراقه

ولما تولى طهراقة من بعده نقل العاصمة إلى تانيس كى يستطيع الدفاع عن حدود مصر الشمالية الشرقية ضد غارات الأشوريين الذين قويت شوكتهم إذ ذاك وطمعوا فى امتلاك مصر

وحارب (طهراقة) الأشوريين فى معارك كثيرة بقيادة ملكهم (أسرحادون) ولكن كانت النتيجة انتصار الأشوريين واستيلاءهم على مصر عام (٦٧٢ . ق . م .) .

حكم الاشوريين

ولم يكن الأشوريون مثل اللوبيين أو الاثيوبيين يحترمون معبودات مصر وتقاليدها ولكنهم كانوا أهل سلب وتدمير لا يطمعون فى شىء أكثر من الغنيمة ، وحكم (أسرحادون)

القطرين وبلاد النوبة وأقام على مصر (نخاو) أمير سايس والياً من قبله .

وظل أمراء مصر يترقبون الفرص لطرد الأشوريين حتى قام (ابسماتيك) بن (نخاو) وتمكن من طردهم وأسس بذلك الأسرة السادسة والعشرين ؛ وبذلك دخلت مصر فى دور نهوض جديد .

« رأس تمثال (طهراقه) الملك الاتيوبى »
وهو محفوظ فى متحف القاهرة

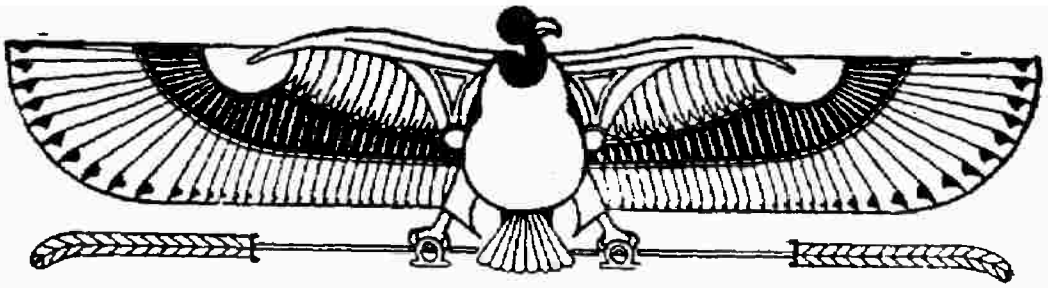

١١ – عصر النهضة (الأسرة السادسة والعشرون)

٦٤٥ – ٥٢٥ ق . م .

علاقة مصر بالاغريق

بعد أن خلص (ابسماتيك) البلاد من الأشوريين اعتبر مؤسساً للأسرة السادسة والعشرين وجعل عاصمته (سايس) فى الدلتا ، وكان يستعين فى ذلك كله بالجنود المرتزقين من الاغريق منتهزا فرصة اشتغال الأشوريين بمحاربة بابل ، ولذا نجد نفوذ الاغريق يزداد فى مصر منذ ذلك الحادث ، ونجد عدداً عظيما منهم يستوطن الدلتا ، ثم إن تجارهم انتشروا فى البلاد وتمتعوا بكثير من الامتيازات وقد أقطع فرعون جنود الاغريق بلدين فى الدلتا وجعل لتجارهم حياً فى منف ، وأخيراً سمح لهم فأنشأوا لأنفسهم بلداً يدعى (نقراطش *Naucratis*) أو (ملكة البحر) قرب الفرع الغربى للنيل .

مظاهر النهضة

وكانت نهضة مصر فى عهد الأسرة السادسة والعشرين إحياءً لحضارة أجدادهم القديمة ، فقد عادت الكهانة سيرتها الاولى وتليت الصلوات والأدعية فى معابد الأهرام التى هجرت مئات السنين ، ثم أصلحت المعابد والمبانى القديمة وأقيمت أبنية أخرى على طراز آثار الدولة القديمة ، وهكذا قلد (أبسماتيك) جده (خوفو) رغم أن أكثر من عشرين قرنا تفصل بينهما .

وليس معنى هذا أن النهضة كانت مصرية محضة ، فان انتشار الأغريق فى مصر واستخدام الجنود منهم صبغ النهضة بصبغة إغريقية ، ذلك لأنها قامت على أكتاف تجار الاغريق الذين علموا مصر فن التجارة والتجول فى البحار وإنشاء المصانع الكبيرة ، لذا نجد التجارة من أهم مميزات ذلك العصر .

الآثار

ومن أهم آثار عصر النهضة مجموعة من تماثيل البرنز لبعض الآلهة مثل أوزيريس وإيزيس وهوراس ، ومجموعة من الحلي البديعة الدقيقة الصنع ورسائل مكتوبة بالخط الديموطيقى .

وكثير من أخبار هذه الأسرة مستمد من كتاب (هيرودوت) الذى زار مصر بعد أيام الأسرة السادسة والعشرين بقليل ، وكتب عن هذه الفترة كتابة أثبت التنقيب أنها صحيحة كلها ، وذلك رغم أن كتابته عن الدولة القديمة لا يصح الاعتماد عليها .

ابسماتيك الاول

وكان (أبسماتيك الأول) الذى حكم أربعاً وخمسين سنة ذا مواهب نادرة وقدرة عظيمة على الحكم ، فهو الذى جلب لمصر مركزاً محترماً بين جاراتها وصرف عدة سنوات فى تقوية حكومتها المركزية وتجديد المعابد وتدعيم دين البلاد ، وفى أخريات أيامه جهز حملة لفلسطين قادها ابنه (نخاو)

نخاو

وتمكن (نخاو) من الأستيلاء على موانىء سوريا وتوغل شمالا حتى الفرات ، وفى عودته فرض الجزية على أورشليم .

وسرعان ما سقطت الدوله الأشورية باستيلاء البابليين على عاصمتها (نينوى) بقيادة ملكهم (نابوبو لاسار) والد

(نابوخذ ناصر) وأرسل (نخاو) جيشا جديداً لقتالهم ولكنهم هزموه هزيمة شنيعة عند قرقميش .

الاغريق والفينيقيون

ورغم هذا فقد بنى نخاو أسطولا بحريا بقيادة ضباط من الاغريق والفينيقيين واهتم بالتجارة وشرع فى توصيل البحر الأبيض بالبحر الأحمر عن طريق النيل . ولكنه لم يتم المشروع لاعتقاد المهندسين أن مستوى الماء فى البحر الأحمر أعلى منه فى البحر الأبيض وأن حفر ترعة عن طريق فرع النيل الشرقى تغرق الدلتا ، ثم أرسل بعثة بحرية من الفينيقيين طافت حول إفريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح استغرقت فى رحلتها عامين وأثبتت فساد الاعتقاد بأن النيل يتصل بالمحيط .

أبريس

ومن أهم ملوك هذه الأسرة (أبريس) الذى طمع فى فلسطين لما رآه من تفكك اليهود وانقسامهم طوائف بعضها يميل للمصريين وبعضها يميل لدولة بابل . وتمكن فى إحدى حملاته من الاستيلاء على بعض المدن الفينيقية .

أحمس الثاني

وكان (أبريس) يحب الأجانب من الأغريق فثار ضده الجند بقيادة كبيرهم (أحمس) وأسقطوه وتولى مكانه (أحمس) الذى حكم البلاد أربعاً وأربعين سنة . ولكن فى أواخر أيامه ظهر من الشرق خطر جديد يهدد حدود مصر ، هو ظهور دولة الفرس على أنقاض الامبراطورية البابلية .

ابسماتيك الثالث

وفى عهد (إبسماتيك الثالث) دخل (قمبيز) ملك الفرس بلاد مصر ظافراً وأسس الأسرة السابعة والعشرين الفارسية ، ولم يلبث

المصريون بمساعدة الأغريق أن طردوا الفرس عام (٤٠٥ ق.م.) ولكن الفرس فتحوا مصر من جديد أيام الأسرة الثلاثين وأصبحت جزءاً من امبراطوريتهم وظلت هكذا حتى جاء الاسكندر الأكبر فاستولى عليها وخلصها من عسفهم عام ٣٣٢ ق . م .

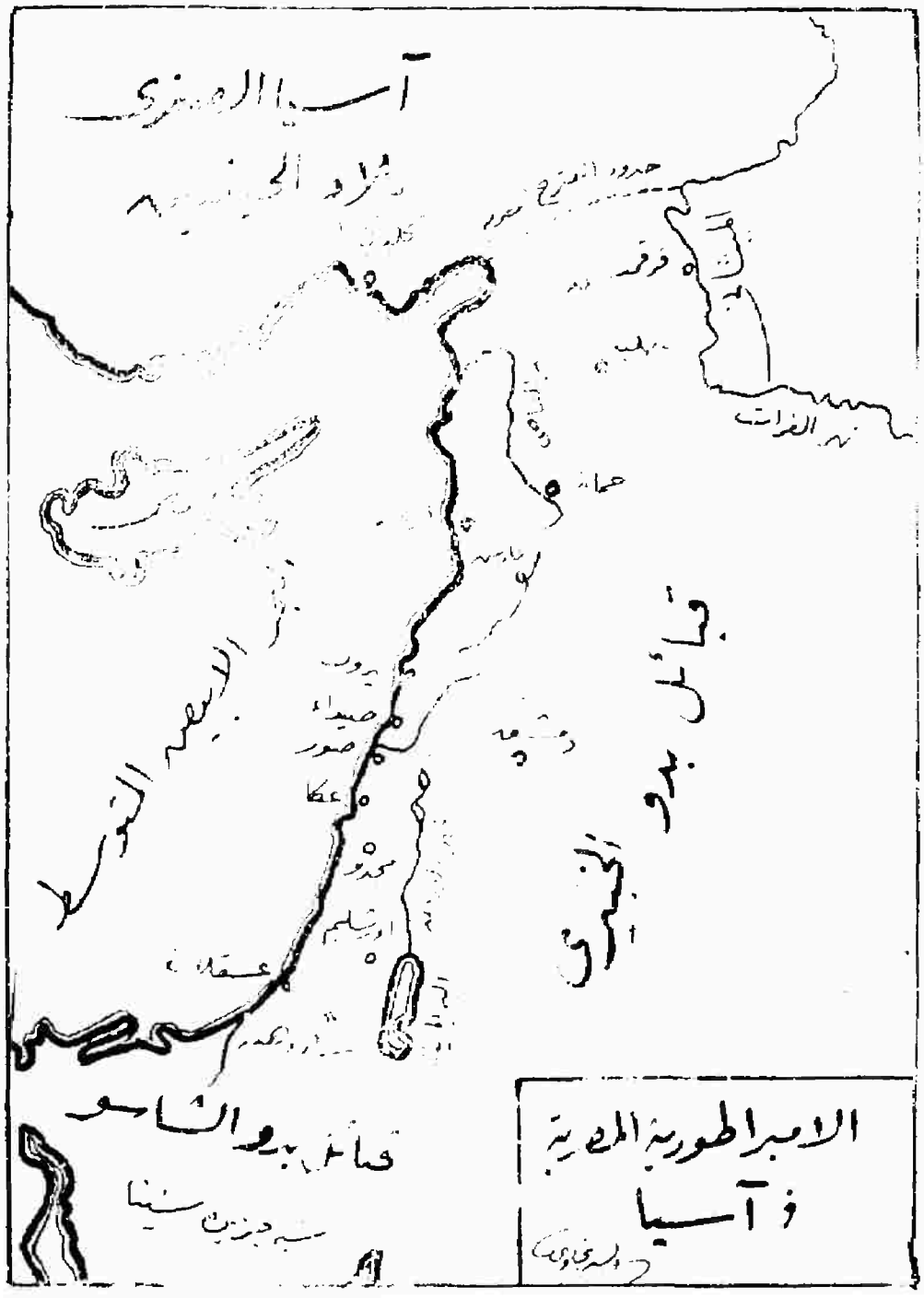

١٢ — حضارة قدماء المصريين

معنى الحضارة

إذا قلنا الحضارة فانما نقصد مقدار ما وصل إليه رقى القوم فى جميع مظاهر حياتهم كالحكومة والدين واللغة والآداب والفنون والعلوم والاخلاق والعادات والتجارة والصناعات .

(١) الحكومة
فرعون

كان فرعون رأس الدولة الذى يعين الموظفين ويعزلهم ويولى حكام الاقاليم ويسأل الجميع عن كل ما يتعلق بشئون وظائفهم .

رئيس الوزراء

وأكبر الموظفين رئيس الوزراء ، وهو المنفذ للقوانين والمشرف على الادارة والاعمال العامة والرئيس الأعلى للقضاة والمدير للديوان الملكى ، والحقيقة أنه كان أعظم شخص فى الدولة بعد فرعون ، ولكنه يفقد الصفة المقدسة التى امتاز بها شخص فرعون ، وهذا جعل المصريين يطلقون عليه (الرجل) تمييزا له عن فرعون الذى أطلقوا عليه (الرب)

القضاة

وكان قضاة الحكومة على درجة عظيمة من الاحترام ، يساعدهم فى عملهم كثير من رجال القانون ، وكان المصريون يطلقون على القاضى منذ الدولة القديمة (وازن الكلمات)

أمناء المال

وكان يصرّف الشئون المالية (أمناء المال) وهم من حملة الأختام الملكية ويعتبرون من كبار موظفى الدولة ، وامتاز بيت المال بأنه كان يطلى دائما باللون الابيض ، وكان جباة الحكومة منذ الأسرة الثالثة

ينتشرون فى الأقاليم لجمع الضرائب ويعودون إلى العاصمة ومعهم الماشية والحاصلات الأخرى . ولما قوى شأن أمراء الأقاليم أصبحوا مسئولين وحدهم عن جباية الضرائب .

الكتبة

أما أعمال الكتابة فكان يقوم بها النساخون والكتبة الكثيرون فى دواوين الحكومة .

(٢) النظام الاجتماعى

وعثر المنقبون على رسوم كثيرة على حيطان المعابد والقبور استدلوا منها على أن المجتمع المصرى كان ينقسم إلى ثلاث طبقات (١) الطبقة العامة وتتألف من الأحرار الذين يشتغلون بالزراعة أو الصناعة ، ثم العبيد الذين يعملون فى فلاحة الأرض ، وكلا الفريقين لا يملك شيئا من الأرض . (٢) طبقة أصحاب الأرض (٣) طبقة الأشراف وتتكون من فرعون وأمراء بيته وكبار الموظفين فى بلاطه وحكومته كالوزراء والقضاة وأمناء المال .

الزراعة

وكان عدد كبير من الأهالى يعمل فى حفر الترع وتنظيم مياه الفيضان وقطع الأحجار وجلب المعادن . ولكن الصناعة الرئيسية هى الزراعة ، ولم يكن الفلاح يملك الأرض التى يزرعها ، ولكنه يزرعها ليقدم الجزء الأكبر من المحصول لسيدة المالك . وعلى هذا لم يكن فى مصر ملاك صغار يفلحون أرضا يستطيعون التصرف فيها .

حالة الفلاح

وكان بيت الفلاح ساذجاً حقيراً ، يهجره طوال النهار ولا يأوى اليه إلا فى ليالى الشتاء ، ولم يكن فيه من الأثاث غير القدر الذى يطبخ فيه طعامه وبعض الآنية التى يخزن فيها حاجياته ،

وكانت زوجته تساعده فى عمله اليومي وتقاسمه العناء فى الحقل فى ساعات النهار ، وعلى الجملة فقد كان الفلاح المصرى القديم يشبه الفلاح المصرى اليوم ، يعمل طول يومه ، ثم يأتى المساء فيجتمع الفلاحون المتعبون حول القصّاص يقص عليهم حكايات الآلهة والابطال .

ولم يكن يهتم الفلاح فى عهد الدولة القديمة بشؤون الحكومة ، فكثيراً ما كان يسقط فرعون ويتولى فرعون جديد ، وكثيراً ما كانت تحدث التغييرات السياسية الخطيرة والفلاح لا يعلم عن هذه الامور شيئا ، بل ويرى أن البحث فيها عبء ليس لمثله أن يتحمله .

(٣) الديانة واثرها

نستطيع أن نستنتج بعد دراسة تاريخ قدماء المصريين على وجه الاجمال أن حضارتهم كانت متأثرة فى كل عصورهم بعقائدهم الدينية . فمثلا كانوا يعتقدون فى الحياة بعد الموت ، وهذا جعلهم يهتمون بتشييد قبورهم أكثر من اهتمامهم ببناء بيوتهم كما قدمنا ، ثم إنهم كانوا يعتقدون أن الروح لا تعود إلى الجسد إلا إذا كان سليماً فحنطوا الجثث قبل دفنها ، وهكذا كانت العقائد الدينية أكبر عامل على إقامة القبور وتقدم فن التحنيط . ولم تكن إقامة المعابد الفخمة إلاّ لتكون أمكنة تتلى فيها الأدعية على أرواح المتوفي من الملوك والعظماء . ومن هنا نرى أن الدين كان عاملاً على ترقى البناء والهندسة وكانوا يضعون التماثيل فى غرفة الميت لارشاد الروح إلى مكان الجسد أو لتحل الروح فيها إذا تلف الجسد ، ومن ثم

تقدمت صناعة التماثيل ، وكانوا ينقشون القاب الميت ويصورون حياته اليومية على حيطان قبره ، ومن ثم ترقى التصوير والنقش .

الآلهة المحلية

أما عن ديانتهم فانهم كانوا يعبدون آلهة محلية ، أى أن كل بلد كان له إله يعتقد الناس أنه يحمى البلد وأهله ويحارب فى صفوفهم ضد أعدائهم ، وكان يعظم شأن الاله المحلى إذا عظم شأن البلد الذى يعبد فيه ، فمثلا كان « بتاح » الاله المحلى لمنف ، وعند ما جعل « مينا » ذلك البلد مقراً للحكم عظم شأن « بتاح » وترقى فأصبح إلهاً عاما يعبد فى كل أنحاء البلاد .

رسم يمثل عودة الروح

وكذلك « أمون » إله طيبة المحلى نجده يصبح الهاً عاما فى الاوقات التى يؤول الحكم فيها الى أمراء طيبة وكذلك شأن « رع » اله هليوبوليس وبقية آلهة مصر .

الآلهة العامة

وأهم الآلهة العامة رع وأمون واوزيريس وإيزيس وست وهوارس وأمون رع وبتاح وموت وتيمو وخنيمو ونت وباست وانوبيس وتحوتى وهاتور ومعات ، وكان أعظم هذه الآلهة شأنا إله الآخرة « أوزيريس » وكانوا يعتقدون أنه يحكم العالم الآخر ويرأس محكمة الحساب .

الحساب

وكان اعتقاد المصريين في الحساب بعد الموت اعتقادا وثيقا فأذا مات الميت استدعى إلى قاعة العدل وبها إثنان وأربعون

قاعة الحق

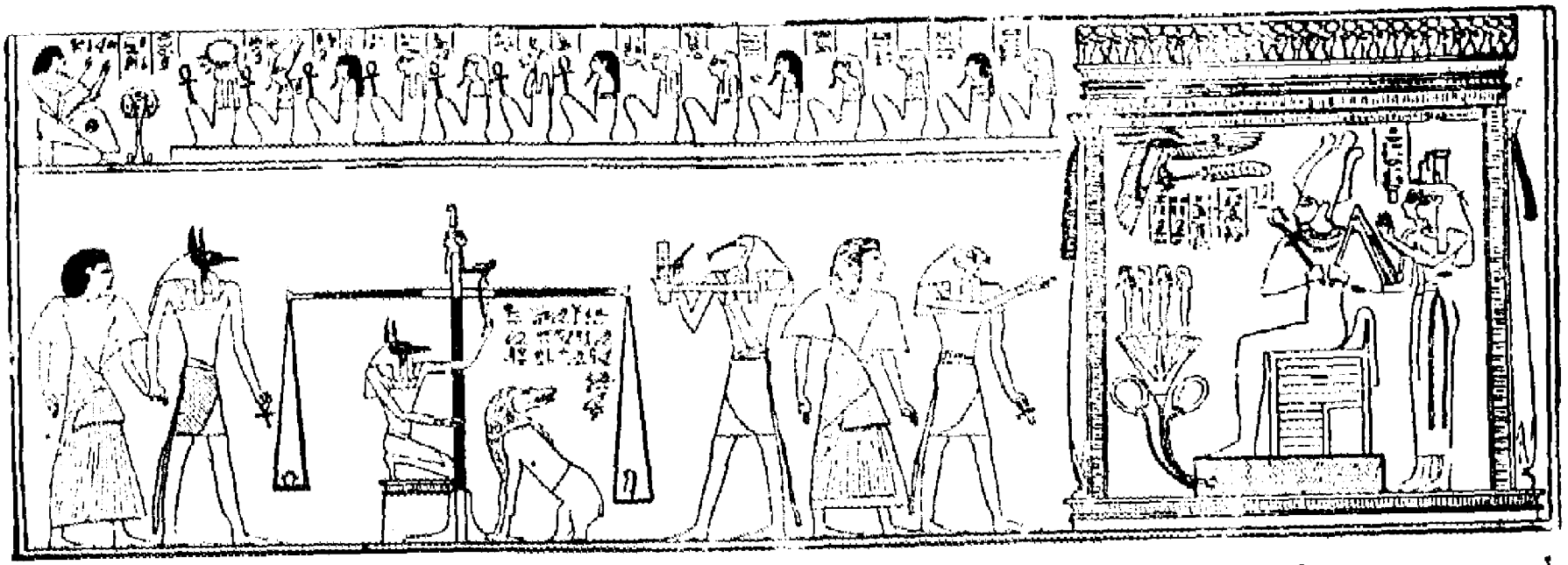

فى أعلى الصورة القضاة وأمامهم الميت يترافع عن نفسه ، وفى أسفلها الميزان ، ويرى القلب فى الكفة اليسرى وفى الكفة اليمنى ريشة قائمة هى رمز الحق والعدالة ، ويرى (أنوبيس) إله الموتى وله رأس ابن آوى راكعا يرى نتيجة الوزن ، وعن يمين (أنوبيس) ترى « آمام » المفترسة آكلة الموتى ، ولها راس تمساح وجذع اسد ومؤخرة بجل البحر ، وعن يمين الميزان وراء (آمام) يقف « تحوتي » كاتب الآلهة وفى يده اليسرى اللوحة والمداد الاسود والأحمر وفى يمناه قلم من البوص يدون به نتيجة الوزن والحساب ، وإلى اليمين يجلس اوزيريس على عرشه وقد امسك فى يمينه صولجانا على شكل الخطاف وفى يساره صولجاناً على شكل المدقة وهما من شارات الحكم

قاضيا برئاسة « أوزيريس » ثم يسأل عما جنت يداه فى الدنيا ويترافع عن نفسه أمام القضاة كى يثبت براءته ، وكان يحفظ المصرى قبل موته صيغة المرافعة الآتية عن ظهر قلب :

صيغة المرافعة

« سلام عليك أيها الأله الأعظم صاحب الحق ، لقد جئت اليك يارب خاضعاً لأعين مجدك ، إنى أعرف اسمك وأسماء الأثنين وأربعين قاضياً الجالسين معك فى قاعة الحق والعدل ، لقد أتيت اليك يا إلهى متحليا بالحق متخلياً عن كل خطيئة ، فانى لم أظلم أحداً ، ولم أحنث فى يمين ، ولم أشته امرأة قريبى ولا مال غيرى ولم أكذب قط ، ولم أخالف الأوامر الألهية ولم أسرق خبز المعابد ولم أنتهك حرمة جثث الموتى ولم أرتكب الفحشاء ، ولم أبع القمح بثمن باهظ ، ولم أطفف الكيل ، ولم اقتنص طيور الآلهة ، ولم أطارد حيواناتها ، ولم أتصيد الاسماك المقدسة من بحيراتها ولم أخالف نظام الرى ولم أتلف الأراضى الزراعية ، ولم اكن قوالا ولا نماما ، أنا طاهر ، أنا طاهر ، وبما أني مبرأ من كل الذنوب فارجو أن أكون من الفائزين »

الحكم على الميت

فاذا انتهى من المرافعة وناقشه القضاة عرض قلبه على الميزان فاذا ثبتت للقضاة براءته صاح «اوزيريس» قائلا : «فليخرج الميت فائزاً من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء ولتفتح له أبواب الجنة ولتوهب له حياة جديدة ، وليجلس عن يمينى فى الفردوس السماوى »

أما إذا تبين للمحكمة أنه شرير صاح « اوزيريس » قائلا

«اذهب عنى أيها الشرير إلى الجحيم لتلاقى أشد العذاب والنكال ، وأنتم أيها القضاة اقتلوه بسيوفكم وتغذوا الآن بلحمه واشربوا من دمه ، وأنتم يازبانية جهنم اسحبوه على وجهه إلى الجحيم واقطعوا رأسه على خشبة العار ومزقوا جسمه كل ممزق وألقوه فى النار »

عبادة الحيوانات

وكانوا يعبدون إلى جانب الآلهة العامة والمحلية بعض الحيوانات كالعجل والتمساح والقط والكلب لاعتقادهم أن أرواح الآلهة تحل فيها ، وعبدوا كذلك عناصر الطبيعة التى أثرت فى حياتهم كالشمس والقمر والماء .

(٤) الاخلاق والعادات

ونستنتج من صيغة المرافعة أن الدين كان له أثر كبير فى أخلاق المصريين وعاداتهم ، فقد علمهم احترام الآلهة والاحتفاظ بحرمة الجيران والاحسان إلى الوالدين والامتناع عن الزنى والكذب والقتل والسرقة وبالجملة أبعدهم دينهم عن الخطايا والرذائل وأمرهم بالمعروف والتحلى بالفضائل .

ومن أهم عاداتهم أنهم كانوا يكرّمون عظماءهم ويتوارثون الحرف ويتزوج الأخ بأخته ، ثم إنهم كانوا يتقربون إلى النيل فيرمون فيه فتاة قرب فيضانه ، وقد أبطل هذه العادة (عمرو بن العاص) بعد أن فتح مصر .

ومن عاداتهم إقامة الولائم فى المواسم والأعياد وقت الظهر فيشترك فيها الرجال والنساء ويرقص الجميع على الانغام الموسيقية ، وكان للمرأة من الحقوق ما للرجل ، فكانت تحضر الحفلات

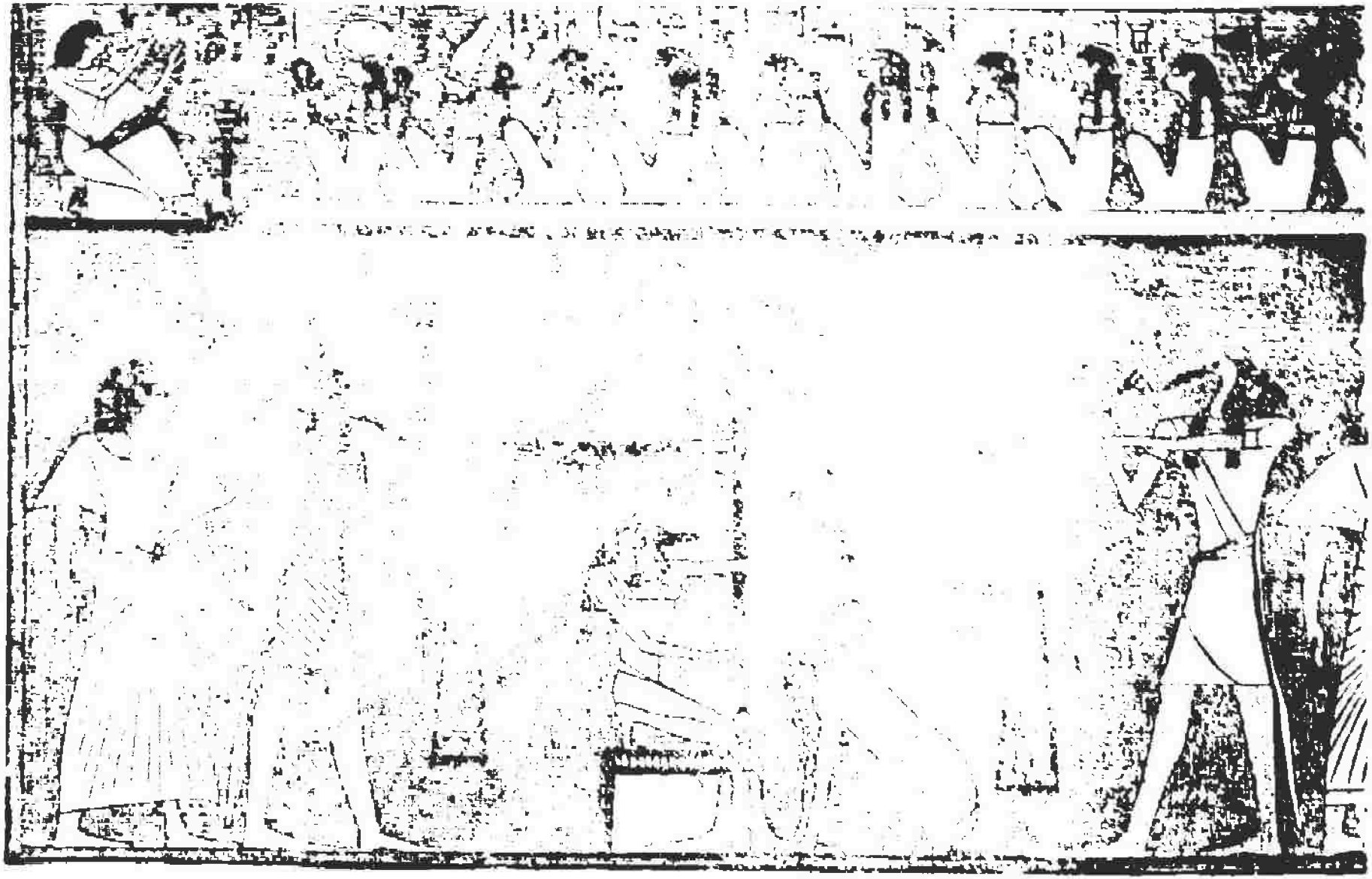

« وزن القلب »

وتتقلد المناصب الكبيرة فى الدولة وتتولي الكهانة والحكم .

(٥) الكتابة

وكانت كتابتهم فى بدء العصر التاريخى هى الكتابة الصورية التى ظلت ترتقى حتي توصلوا إلى وضع الرموز والحروف وتكوين الكلمات ، ولما أغار الهكسوس على مصر تعلموا كتابتها وعلموها للفينيقيين فنقلوها إلى بقية أجزاء العالم القديم ، وعلى الآثار المصرية كتابات باللغات الصورية والهيروغليفية والديموطيقية .

(٦) العلوم والآداب

ونبغ المصريون فى الفلك [١] والهندسة العملية والكيمياء والسحر والرياضة ، وارتقت كتابة الأدعية الدينية والقصص ودونت الكتب على أوراق البردى وعلى جدران الهياكل والمبانى القديمة ، ومصر أقدم الأمم التى عنيت بوضع القوانين وتدوينها ، وعنها أخذ مشرعو الأغريق والرومان .

(٧) الصناعات والفنون

وأهم ما يلفت النظر فى حضارة المصريين نبوغهم فى البناء والنحت وصناعة التماثيل والتلوين والرسم وصناعة الأواني الخزفية والحلى الدقيقة من الذهب والنحاس ؛ ثم إنهم نبغوا فى نسج الكتان من الخيوط الدقيقة وصنعوا الورق من نبات البردى ومهروا في صناعة النجارة ودبغ الجلود وعمل الأسلحة الحربية .

---

(١) من أهم نتائج الملاحظات الفلكية لقدماء المصريين انهم اكتشفوا طول السنة النجمية فجعلوها ٣٦٥ يوما وكلما مضت أربع سنوات أضافوا يوما للسنة الرابعة فتصير ٣٦٦ يوماً وهذا التقويم المصرى هو الذى أخذه يوليوس قيصر وأدخله فى الامبراطورية الرومانية ، وفي ١٥٨٢ عدل فيه البابا جريجورى الثالث عشر تعديلا طفيفا ، ثم هو بعينة التقويم الذى يستخدمه العالم المتمدين بأسرة اليوم وهذا يوضح لك فضل مصر على المدنية الحديثة .

٨ التجارة

وكانوا كما قدمنا متصلين بشعوب البحر الأبيض المتوسط وأرض القرات عن طريقي البحر والقوافل ، وكان يحمل تجارهم خيرات هذه البلاد كلها إلي مصر ، وقد قدمنا فى الكلام عن الأسرة السادسة والعشرين أن أحد ملوكها « نخاو » أرسل أول بعثة بحرية طافت حول أفريقيا وكشفت سواحلها الجنوبية ، وهذا معناه أن الاسطول المصرى كان يتجول فى البحرين الأحمر والابيض ويسير فى المحيط الأطلسى .

أما فى داخل البلاد فكانت تقام الاسواق لتبادل السلع وكانت القوارب التجارية دائمة التنقل فى مجرى النيل تحمل الحاصلات من إقليم إلى أخر .

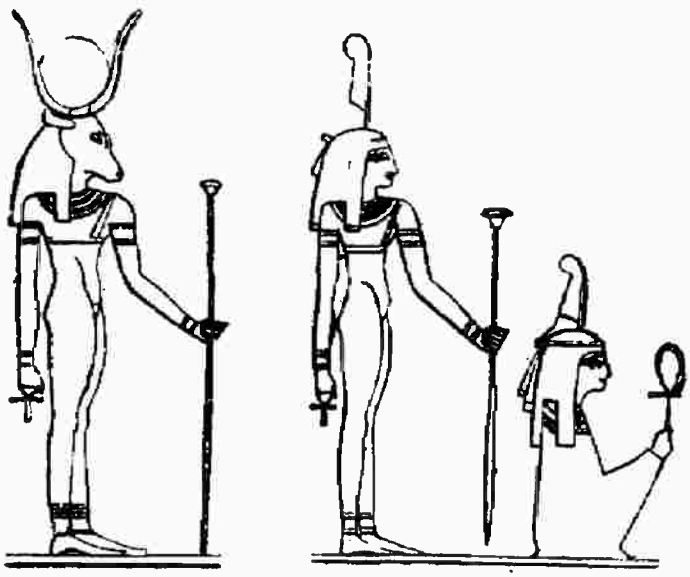

معات
Maat

هى الهة القانون وأخت اله الشمس رع ويصورونها واقفة أو جالسة وعلى رأسها الريشة التى هى رمز القانون

هاتور
Hathor

هى زوج رع ومعبودة طيبة يصورونها امرأة برأس بقرة وعلى رأسها القرنان والقرص ، وهى الهة الجمال والحب

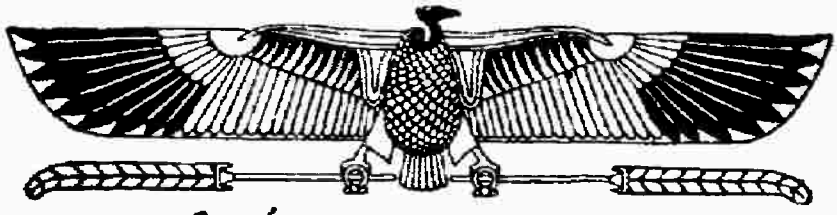

حضارة بابل وأشور

١٣ — عبقرية بابل وأشور وكلديا

طبيعة البلاد

ينبع نهرا دجلة والفرات من هضبة أرمينيا ويسيران نحو الجنوب حتى يلتقيا قرب المصب ثم يصبان معاً فى الخليج الفارسى ، ووادى النهرين يمتاز بأعتدال مناخه وخصوبة تربته ، ونظرا لتوفر شروط الزراعة كانت هذه البلاد مهدا لحضارات قديمة هى البابلية والأشورية والكلدانية .

بابل

وكان يسمى الجزء الأدنى من الوادى فى الأزمان القديمة أرض بابل نسبة إلى مدينة بابل العظيمة ، وأطلق على نفس هذا الأقليم اسم (كلديا) لأن أهل الأمبراطورية البابلية الأولى كان يطلق عليهم الكلدانيون .

أشور

ويسمى الجزء الواقع شمال بابل بين النهرين بأرض الجزيرة . أما الجزء الأعلى الممتد من نهر دجلة الى التلال والجبال فقد أطلق عليه أشور .

الامبراطورية البابلية ٤٠٠٠ - ١٣٠٠ ق . م .

ويرجع تاريخ بابل الي أربعه آلاف سنة قبل الميلاد حيث كانت كلديا مقسمة الى مدن حكومية مستقلة .

وأهم الحوادث القديمة أن « سرجون » الأول ملك مدينة (آجاد) وحد البلاد كلها وحكمها ومد نفوذه الى البحر الأبيض

المتوسط فاستولى على فينيقيا وفلسطين وسوريا واتصل بمصر عن طريق التجارة ؛ وقد عثر المنقبون فى العراق أخيراً على تماثيل بابلية من عهده تشبه تماثيل مصر مما يدل على وجود علاقات بين البلدين .

حمورابي

وحكم حمورابى البلاد الموحدة كلها حوالى (٢٢٠٠ ق . م .) بعد أن كانت قد تفرقت بموت سارجون، وحمورابى صاحب الفضل فى إعادة الامبراطورية البابلية إذ بسط نفوذه على فلسطين وسوريا وفينيقيا ، ثم اهتم بالاصلاح الداخلى فازدهرت التجارة ونشطت العلوم والآداب فى عهده ، وهو الذى دوّن القوانين البابلية بعد أن زاد عليها ونقحها ، وقد عثر المنقبون على حجر دونت عليه هذه القوانين التي كان مبدأ القصاص فيها (العين بالعين والسن بالسن) وهى تعتبر من غير شك أقدم قوانين العالم .

الاشوريون

وبعد هذا بقرون قليله هاجر قوم من البابليين وسكنوا أرض أشور وظلوا خاضعين لحكومة بابل الجنوبية ، ولكنهم تدرجوا فى القوة حتى استقلوا وتمكنوا أخيراً من الاستيلاء على أرض الجزيرة وعلى بابل نفسها ، وبذا ظهرت دولة أشور، وقد عثر المنقبون فى تل العمارنة على ألواح تثبت أن مصر كانت تربطها بدولة أشور صلات تجارية أيام إخناتون .

الامبراطورية الأشورية ١٣٠٠ - ٦٥٦ ق . م .

وكان الأشوريون متوحشين محبين للحرب وترتكز سيادتهم دائما على أساس الجيوش ، وكان لا يعنى ملوكهم بشىء مثل عنايتهم بالحرب وما ينتج عنها من السلب والتخريب وكانت عاصمتهم مدينة نينوي على نهر دجلة .

سرجون الثاني

وكان « سرجون الثانى » أول ملك أشورى حارب مصر وأرغمها على دفع الجزية كما أرغم سكان شبه جزيرة العرب وقبرص ، وثار ضده اليهود فاعدم نصفهم وحمل الباقين إلى أشور .

سنخاريب

وحكم بعده ابنه (سنخاريب) الذى أخضع ثورات فلسطين وبابل ورغب فى الانتقام من مصر لمساعدتها الثوار فغزاها ولكنه لم يتم فتحها .

أسرحادون

واستطاع (آسر حادون) أن يغزو مصر ويستولى عليها وكان يحكمها إذ ذاك (طهراقة) الملك الاتيوبى ، وبذا انقضى حكم الاتيوبيين وأصبحت مصر جزءاً من الامبراطورية الاشورية .

أشور بانيبال

ووصلت أشور منتهي قوتها فى عهد (أشور بانيبال) ، وفي أيامه استردت مصر استقلالها وقامت فيها ملكية قوية على رأسها (أبسماتيك الأول) مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، وقد انتهز (ابسماتيك) فرصة الفتن التى قامت فى أشور وقيام بابل والدول الأخرى ضدها واستطاع تخليص مصر من الاشوريين .

الامبراطورية الكلدانية ٦٠٦ — ٢٣٨ ق . م .

وبسقوط أشور أصبحت بابل من جديد مقر الامبراطورية التي أطلق عليها الامبراطورية الكلدانية وأعظم ملوكها نابوخذ ناصر أو (نبختنصر) الذى حكم ما يقرب من ستين عاما وضم جزءاً عظيما من آسيا الشرقية لامبراطوريته وهزم جيشاً مصريا يقوده (نخاو) فرعون مصر هزيمة شنيعة عند قرقميش ، وهو الذى تعزى اليه إقامة الحدائق المعلقة التى تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع .

ولكن خلف نخاو (ابسماتيك الثانى) الذى حرض اليهود

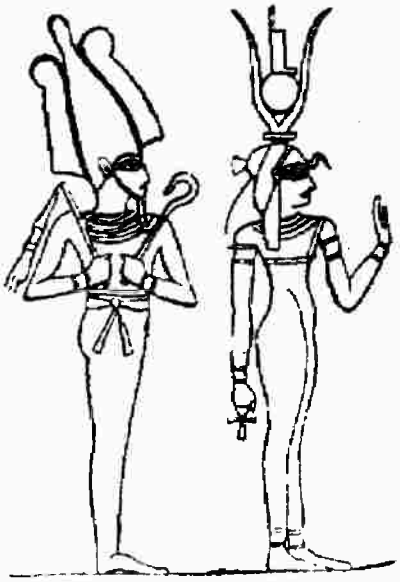

أوزيريس
Osiris

إيزيس
Isis

أسطورة أوزيريس

كان أوزيريس في أول أمره ملكا على مصر ، وأنقذ رعاياه من حياة التوحش بأن علمهم الزراعة وسن لهم القوانين ، ثم طاف الكثير من البلاد الاجنبية وألقى بين أهلها بذور المدنية والتحضر ، ولما عاد إلى مصر قتله ابنه (ست set) ومزق جسده إرباً وألقاه فى النيل ، ثم اغتصب لنفسه العرش وأعلن نفسه ملكا على مصر، واستطاعت (ايزيس Isis) أخت أوزيريس وزوجته أن تكشف عن هذه الجريمة فاستعانت بابنها (هوراس) وحاربت (ست) وهزمته وخلعته عن العرش ، ثم نهضت تبحث فى كل مكان عن أعضاء أوزيريس المتناثرة فجمعتها وأخذت تتلو عليها الادعية والصلوات حتى أرجعت إليها الحياة ؛ وهكذا بعث أوزيريس من موته باسم (هوراس) واعتبرت إيزيس فى هذه المرحلة الجديدة أما له بعد أن كانت زوجته ، ومن ثم اعتبرها المصريون إلهة الأمومة وشبهوها بهاتور البقرة ، فرسموها على الآثار كأنها ترضع ابنها هوراس ، وظهرت على الآثار أيضا على شكل امرأة برأس بقرة وأخيراً صوروها على شكل امرأة على رأسها قرنان يمثلان البقرة هاتور أو حاتحور وعبادة هاتور ترجع إلى عهد الدولة القديمة وعبدها البطالسة أيضا ولكنهم جعلوها إلهة الجمال والحب ، ولها معبد فى دندرة أقامه بطليموس الثالث عشر ، ويعتقد المصريون أن فيضان النيل ينشأ عن غزارة دموع إيزيس وهى تبكى أوزيريس ، ويقول هيرودوت إنها رمز القمر وتدل النقوش التى على تابوت الملك منقرع على أن عبادة أيزيس بدأت فى عهد الاسرة الرابعة .

والفينيقيين على التحالف ضد كلديا وفى أثناء الحرب قاست أورشليم عاصمة اليهود وصور عاصمة الفينيقيين أهوالا شديدة وقتل ملك الاسرائيليين ، ولما تم لملك كلديا « بابوخدناصر » إخضاع بنى اسرائيل وفينيقيا اكتفى بهذا لاذلال مصر ولم يحاربها لأنها كانت ضعيفة بحيث لا تكون خطراً على الدولة الكلدانية ، وبموت « بابوخدناصر » دخلت أشور وكلديا وسوريا فى حوزة الامبراطورية الفارسية .

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس)

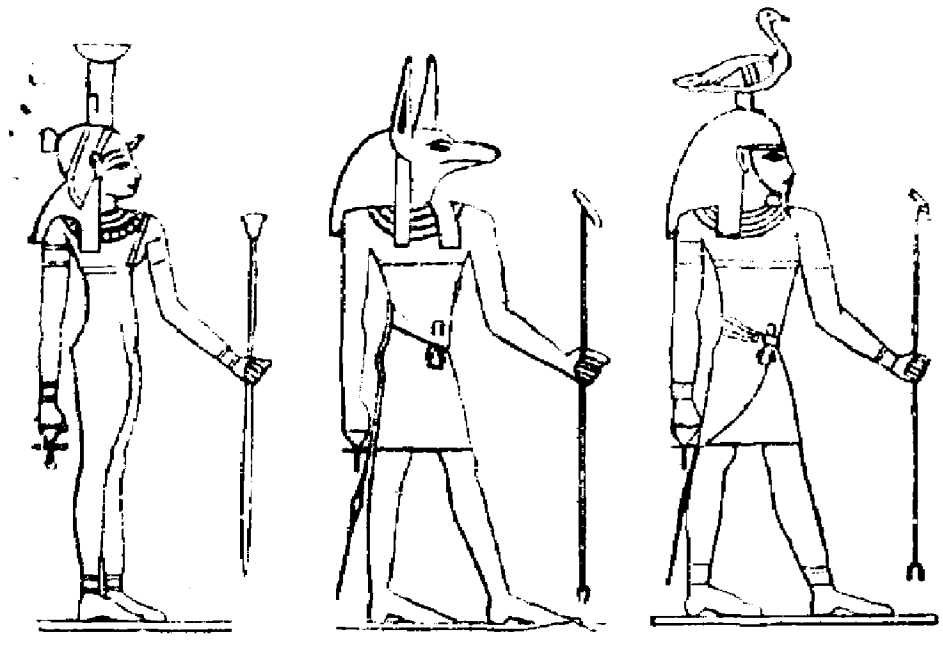

(سب ـ seb)

هو زوج نت وأب أوزيريس وإيزيس وبعض الآلهة الأخرى

(انوبيس ـ Anubis)

هو اله الموتى يصوره المصريون عادة برأس ابن آوى

(نبت حت ـ Nebt-Het)

هى أخت أوزيريس وايزيس ويصورونها واقفة عند تابوت أوزيريس ترثيه

١٤ — علاقة مصر ببنى اسرائيل

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس)

موقع بلادهم

تقع فلسطين وطن اليهود على امتداد الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ، وهى شريط ضيق من الأرض واقع بين الصحراء والبحر .

طبيعتها

وكثير من هذه الأرض مجدب لأن الصحراء متوغلة فى فلسطين الجنوبية كما أن الأجزاء الشمالية بها تلال لبنان الجيرية ، ووديان فلسطين الشمالية خصيبة كثيرة الخيرات ، والأقليم كله لا يصيبه شىء من أمطار فصل الصيف ، ويعتمد فى الزراعة والانتاج على المطر الشتوى ، ولذا كان المحصول هناك أقل بكثير من محصول الأرض التى تتمتع بأمطار صيفية .

أصلهم

ويرجع أصل بنى اسرائيل إلي قبائل كانت تسكن إقليم كلديا ، ثم هاجروا حوالى سنة (٢٠٠٠ ق . م .) بزعامة سيدنا ابراهيم عليه السلام إلى فلسطين واتخذوها وطناً لهم .

وبقى (ابراهيم) يبشر بدينه الحنيف حتي توفى وجاء بعده ابنه اسحق وجاء من بعد اسحق يعقوب الملقب باسرائيل ، فرزقه الله اثنى عشر ولداً صاروا زعماء بنى إسرائيل وكان أصغرهم سيدنا يوسف الصديق .

دخولهم مصر

وقصة يوسف الشهيرة توضح كيف دخلوا مصر فى عهد أحد ملوك الهكسوس ، وكثر عددهم حتى أصبحوا خطراً على سلطة فرعون لأنهم كانوا محافظين على تقاليدهم ولم يندمجوا فى الشعب المصرى ، لذا اضطهدهم الفراعنة وبالغوا فى ايذائهم وتسخيرهم فى بناء عماراتهم ، وظلوا تحت نير المصريين حتى ظهر بينهم موسى عليه السلام .

خروجهم

وقادهم موسى الى الارض الموعود بها وهى فلسطين كى يخلصهم من عسف الفراعنة ، وتبعهم فرعون فانجاهم الله وغرق فرعون ورجاله فى مياه البحر الأحمر ، وظل (موسى) وقومه أربعين سنة يتيهون فى الأرض بين مصر وفلسطين ، ومات موسى قبل أن يصلوا اليها بعد أن علمهم قواعد شريعته وترك قيادهم من بعده لأخيه (هرون) وتمكن (هرون) من الاستيلاء على أرض كنعان وأقام دولة العبرانيين .

وقد قدمنا فى الكلام عن الملك « منفتاح » أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى عهده ، وبرغم أن معظم المؤرخين يقرون ذلك فقد أوضحنا أن هذا التحديد لا يمكن الاعتماد عليه من الوجهة التاريخية اليقينية .

علاقات بلادهم بمصر

أما بلادهم فقد كانت جزءاً من مصر فى عهد الامبراطورية المصرية (الأسرة الثامنة عشرة) ولكنهم انسلخوا عن مصر واستقلوا أيام « اخناتون » ولما أعاد سيتى الأول ورمسيس الثانى سيادة مصر على أملاكها الاسيوية خضع بنو اسرائيل لمصر .

ولكن سيادة الفراعنة لم تدم عليهم طويلا ، ولم تلبث بلادهم أن سلخت عن مصر فى عهد اضمحلالها بعد الأسرة التاسعة عشرة .

سليمان

وأشهر ملوكهم داوود وسليمان عليهما السلام . ويقول المؤرخون إن « شيشاق » الملك الليبى عقد معاهدة مع « سليمان » وتزوج سليمان من إحدى بناته ، ولكن « شيشاق » لم يلبث أن غزا فلسطين وسلب مدينة أورشليم وحمل الى مصر كنوز سليمان الذهبيـة ، وقد قدمنا أن أخبار هـذه الحملة منقوشة على حوائط الكرنك ومسطورة فى الكتاب المقدس .

موت
Mut

موت معناها الأم ، وهي الروح المقدسة لأمون ، وتدخل فى ثالوث طيبة المقدس ويروي أنه إذا وضع تمثالها مع الميت حفظ لحمه وسلمت عظامه وشرب من النهر السماوى وأعطيت له حقول يزرعها فى الجنة .

تيمو
Temu

هو رمز الشمس الغاربة أو الشمس أثناء الليل ، وهو في هذا عكس (رع) رمز الشمس المشرقة أثناء النهار وتيمو هو الموكول إليه اختتام النهار ويعتقد المصريون أنه خلق نفسـه وأوجـد الملائكة والجان ورفع السماء .

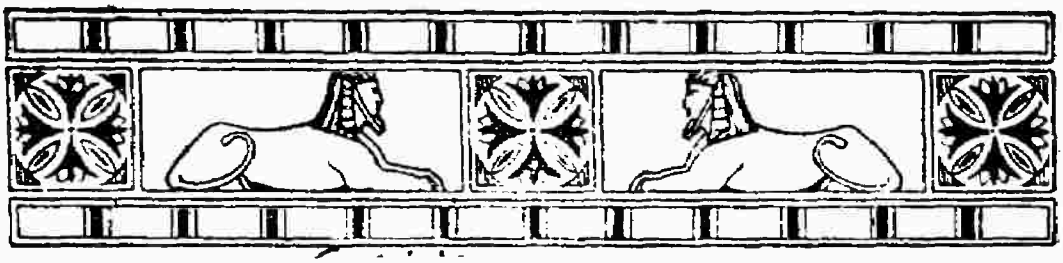

١٥ — علاقة مصر بالفينيقيين

بلادهم

فينيقيا اسم قديم لشريط ضيق من ساحل سوريا يبلغ طوله ٢٠٠ ميل ويتراوح عرضه بين ثلاثة وسبعة أميال ، وكانت أرضها خصبة ولكنها لم تكن تكفي لتموين سكانها ، ولذا اشتغل معظمهم بالملاحة والتجارة ، وساعدهم على ذلك أن ساحلهم كثير المرافىء الصالحة لرسو السفن ، يضاف إلى هذه الميزات كلها أن البلاد متوسطة بين مصر والبلاد الأسيوية مما جعلها بلاداً تجارية تحمل السلع بين مصر وبلاد الفرات وجزيرة العرب .

حضارتهم

وكان الفينيقيون من جنس سامى لغتهم كثيرة الشبه باللغة البابلية ، وحضارتهم مستمدة من بابل ، وأهم مدنهم صيداء التي ظلت صاحبة السيادة على بقية المدن الفينيقية حتى سقطت وآلت الزعامة من بعدها إلي مدينة صور .

ولما كان الفينيقيون لا يهمهم إلا نجاح تجارتهم فانهم لم يهتموا بالآداب والعلوم والسياسة ، ولم يكن خضوعهم للدول الأخرى يضيرهم ما دامت تجارتهم رائجة ، ولقد حكمهم المصريون والأشوريون والكلدانيون ، وأخيرا حكمهم الفرس فالأغريق فالرومان .

علاقتهم بمصر

وتتلخص علاقتهم بمصر فى أنهم كانوا يتصلون بها بروابط تجارية فى عهد الأسرة السادسة إذ جلبوا لها الاخشاب من لبنان ، وفى عهد (تحتمس الثالث) فتحت الجيوش المصرية سوريا وفلسطين وبلاد فينيقيا وصارت موانيها كلها محطات للأسطول المصرى ومعاقل للجند المصريين . ثم إن تحتمس عيَّن الحكام المصريين عليها وبقيت تحت سلطة مصر حتى جاء عهد (إخناتون) وضاعت أملاك مصر الأسيوية فخرجت فينيقيا عن طاعة مصر ، ولكن (سيتى الأول) جرد حملة موفقة إلى سوريا وأعاد معظم أجزائها وأرجع الأسطول المصرى إلى محطاته فى الموانيء الفينيقية .

وظل الفينيقيون خاضعين لمصر يخدمون فراعنتها ويتبادلون التجارة معها ، وعاش عدد عظيم منهم فى منف وبعض جهات الدلتا حتى جاء نخاو فارسل أسطولاً مصرياً بحارته من الفينيقيين للطواف حول إفريقيا وكشف سواحلها الجنوبية .

١٦ — علاقة مصر بالفرس

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس)

غير مقرر

أصلهم

كانت تسكن الجهات المحيطة ببحر قزوين قبل التاريخ قبائل من الجنس الآرى نزح بعضها من زمن لا يمكن تحديده تماماً إلى هضبة إيران ، ولم يكن أولئك النازحون قد تعلموا حياة التحضر والاستقرار ، ولكنهم كانوا لا يزالون من الرعاة . ومن هؤلاء نشأ الميديون ثم الفرس الذين أنجبوا الحكيم العظيم (زروستر) والزعيم الأكبر (كورش) .

زروستر

أما (زروستر) فهو حكيم عاش قبل الميلاد بالف عام . يعزى اليه أنه وضع المبادىء الدينية التى اعتنقها الشعب الفارسى فى عهود بداوته ، فقد رأى من المشاهدات المحيطة به أن العالم نهب بين قوتين « الخير والشر » رأى الروح الخضراء والصحراء الجرداء ، رأى الصحة والمرض ، والفضيلة والرذيلة ، فاستخلص من هذا أن الدنيا تحكمها قوتان إله الخير والنور المسمى (أرمزد) وإله الشر والظلمة المسمى (أهريمان) . وأن واجب كل انسان أن يقف فى صف إله الخير حتى يقضى على الشر . وكانت الزراعة من أعمال الخير لأن الأرض الخضراء من مملكة (ارمزد) . وكل من زرع شبراً من الأرض فانما يوسع مملكة الخير والنور ، وأخيراً لابد

وأن يتغلب الخير ويقع الشر صريعاً تحت قدميه ، ثم ينفرد الخير بالسيادة على الدنيا .

الفارسيس

وبقى دين (زروستر) سائداً حتى منتصف القرن السابع الميلادى حين ظهر الاسلام وقضى على الديانات الوثنية ، وفر أتباع (زروستر) من وجه المسلمين الي الهند وظلوا يعتنقون دينهم حتى اليوم من غير تغيير فى جوهره ، ويطلق عليهم الآن (الفارسيس)

كورش

وكان الفرس فى أول أمرهم خاضعين للميديين ، وظلوا كذلك حتى ظهر (كورش) مؤسس دولة الفرس فخلصهم من الميديين ، ثم بدأ يوسع رقعة البلاد فاستولى على ميديا وليديا وآسيا الصغرى وتوغل شرقا حتى شاطىء السند .

تحالف الدول

لذا خشيت الدول بأس الفرس وكونت ضدهم تحالفا ضم بابل وليديا ومصر وبعض ولايات الأغريق .

ولم يلبث (كورش) أن غزا ليديا وأعادها لطاعته وفتح بابل وبذا أصبحت فارس أقوى دول الشرق المعاصرة لها ، ولم يبق أمامها إلا الانتقام من مصر .

قمبيز

وبموت (كورش) غزا قمبيز ملك الفرس بلاد مصر وكان على عرشها إذ ذاك (ابسماتيك الثالث) فانتصر (قمبيز) ودخل البلاد وأخذ فرعون أسيراً عام ٥٢٥ ق . م .

وبعد أن دخل قمبيز مصر أعد ثلاثة جيوش لغزو بلاد الاغريق وبلاد النوبة ومدينة قرطاجنة ، وتصادف أن فشلت هذه الجيوش كلها فغضب (قمبيز) وصب جام غضبه على رءوس المصريين فهدم

معابدهم وقتل بنفسه معبودهم العجل أبيس فى إحدى الحفلات الدينية . ومات قمبيز أثناء عودته لبلاد فارس سنة ٥٢١ ق . م .

دارا الأكبر

وتولى بعده ابنه دارا الأول (الأكبر) الذى بدأ يصلح ما أفسده أبوه فاحسن إلى المصريين واحترم ديانتهم وتقاليدهم واشترك معهم فى حفلاتهم ، بل أكثر من هذا أنه أقام للإله (أمون) معبدا فى واحة سيوه ، ثم وصل النيل بالبحر الأحمر مما يدل على اهتمامه بالشؤون التجارية والعمرانية .

اجزرسيس

وفى سنة (٤٨٥ق.م.) مات (دارا) وخلفه ابنه (اجزرسيس) الذى أخمد ثورة قام بها المصريون ليستقلوا عن الفرس . وفى سنة (٥٠٤ ق . م .) تمكن المصريون من الاستقلال بمساعدة الاغريق وطردوا الفرس من مصر ، وبقيت الحال كذلك حتى عاد الفرس وفتحوا مصر عام (٣٤٠ ق . م .) وبقيت جزءاً من أملاكهم حتى أخرجهم منها (الاسكندر الأكبر) وضمها لامبراطوريته سنة (٣٣٢ ق . م .)

تلخيص الكتاب الاول

تمهيد — قبل التاريخ

تسمى الأزمان السابقة لمعرفة الكتابة (ما قبل التاريخ) وتنقسم إلى ثلاثة عصور : (١) العصر الحجرى ، وفيه تمكن الأنسان من تكوين مجتمع بسيط له رئيس ، وهذا بدء الحكومات الملكية ، وقامت هذه الجماعات على أساس الزراعة فى أحواض الأنهار الكبيرة . (٢) العصر البرنزى (٣) العصر الحديدى . ومصر أقدم الدول فى مضمار التحضر ، وتنقسم شعوب الارض إلي آرية وسامية وطورانية .

١ — مصادر تاريخ مصر

أهم مصادر تاريخ مصر (١) الآثار وهذه بقيت حتى اليوم لجفاف المناخ ، وتمكن العلماء بواسطة حجر رشيد من حل رموز اللغة الهيروغليفية (٢) المؤرخون الاقدمون مثل هيرودوت وديودور وما نيثون واسترابو .

٢ — أثر العوامل الطبيعية فى حضارة مصر

(١) الزراعة في مصر قديمة لوجود النيل ولصلاحية المناخ والتربة (٢) مصر محمية حماية طبيعية بالبحر والصحراء والجنادل وهذا ساعد على أن تسير هادئة فى سبيل التقدم والتحضر (٣) أدى طول النيل وامتداده إلى التقسيم السياسي والاجتماعى (٤) أدت الزراعة إلى قيام صناعات أخرى ، وكان لوجود الاحجار أثر فى تقدم الحفر والبناء ، كما أن النحاس والذهب ساعدا على تقدم صناعة الحلى والآنية (٥) والحضارة قامت فى مصر ولم تجلب فى الخارج كما يقول بعض المؤرخين .

٣ — الأسرات الثلاث الأولى

مينا أول ملك جلس على عرش البلاد الموحدة وأصبح ملك القطرين وجعل منف عاصمة البلاد ، وكانت مصر في ذلك الوقت على درجة عظيمة من التحضر لقيام طائفة كبيرة من الصناعات وقيام مدن هامة في الوجه القبلى .

الاسرة الاولى: وعثر على حلى من الاسرة الاولي في ابيدوس وعلى مقابر

فى سقارة توضح طريقة الدفن فى هذه العصور ، كما توضح بعض مظاهر الحياة اليومية .

الاسرة الثانية : ليس لها آثار تذكر .

الاسرة الثالثة : كانت قبورها في منف وتقدمت فى عهدها الصناعات الدقيقة ، وأقيمت الاهرام والمصاطب والمعابد من الحجر الجيرى لأول مرة فى التاريخ ، وأهم آثارها هرم زوسر ومعبده ومصطبة زاوية العريان .

٤ — تدرج المقبرة

لم يهتم المصريون ببناء بيوتهم مثل اهتمامهم ببناء مقابرهم لاعتقادهم فى الحياة الآخرة ، ولذا وضعوا مع الميت الطعام والشراب والمتاع . وقبور قبل التاريخ حفر تحت الأرض ترقت أخيرا وأقيمت حوائطها من قوالب اللبن وجعل عليها قبو فوق سطح الارض ، وفى عهد الاسرتين الاولى والثانية جعل القبو على شكل مصطبة من قوالب اللبن وقسمت المقبرة إلى حجرات ، وفى عهد الاسرة الثالثة أقام زوسر أول هرم من الحجر ، وتلاه سنفرو فترك هرمين فى ميدوم ودهشور ، وهذه كلها مهدت لاهرام الجيزة فى عهد الاسرة الرابعة

٥ — الاسرة الرابعة

سنفرو أول ملوكها له هرمان فى دهشور وميدوم ، ومن عهده تماثيل شيخ البلد ورع حتب ونوفريت (وخوفو) هو الذى بني الهرم الاكبر والمعبد المجاور له الذى لا تزال أنقاضه هناك ، وله تمثال من العاج عثر عليه فى أبيدوس (وخفرع) هو بانى الهرم الثانى والمعبد المجاور له ، وهذا المعبد متصل بمعبد الوادى بطريق علوى . ولخفرع تمثال من البازلت وجد في معبد الوادى . أما تمثال أبى الهول فقد ثبت أخيرا أنه أقيم للاله (رع) في عهد الاسرة الرابعة .

منكاورع مقابر الجامعة : . كشف الدكتور سليم بك عن الطريق العلوى الذى يصل معبد خفرع بمعبد الوادى ، ويفصل الجبانتين ، وكشف عن الممر السفلى الذى يصل الجبانتين ، ووجد فى جبانة خفرع قبور بناته الاميرات وأبنائه الامراء وكهنتهم .

منقرع : هو بانى الهرم الثالث بالجيزة (وخنت كاوس) هى بانية الهرم الرابع الذى

كشفه سليم بك سنة ١٩٣٢ — وتدل الأهرام على قوة الملوك وثرائهم وتسيطرهم على حكام الاقاليم الذين قدموا لهم العمال ، كما تدل على تقدم الهندسة والبناء والتصوير والنقش .

٦ — الاسرة الخامسة

ملوك هذه الاسرة من كهنة رع الذين عظم نفوذهم فى أواخر الأسرة الرابعة فأسقطوها ، ولذا اهتموا بالناحية الدينية وكتابة الأدعية والصلوات وتركوا أمراء الاقاليم يعظم شأنهم السياسي .

رع ــ سحورع : ثانى ملوك الأسرة وهرمه فى أبى صير ، وكشف سليم بك مصطبة من عهده لكاهن يدعي (نخت كا) لها أهمية كبيرة .

رع ــ اوسار : ثالث ملوكها وهرمه فى أبي صير وكشف سليم بك من عهده قبر الكاهن الأعظم (رع ور)

أوناس آخر ملوكها له هرم بسقارة على حوائطه كتابات دينية يتكون منها الجزء الاعظم من كتاب الموتى ، وعليه نقوش تمتاز بألوانها الزاهية .

اثار أخرى : معابد أبى صير ، قبر تى ، قبر بتاح حتب ، نصائح الحكيم بتاح حتب ، مقبرة وب أم نفرت ، مقبرة نى معات رع .

٧ — الاقطاع

عظم شأن حكام الاقاليم بضعف الملوك فى أواخر الاسرة الخامسة وأصبحت مراكزهم وراثية ، وأصبحوا يدفنون في مقاطعاتهم بعد أن كانوا يدفنون حول الملك .

ملوك الاسرة السادسة حافظوا على كيان الملكية ولكنها ضعفت فى أواخر عهدهم وقام العصر المظلم الاول ، ثم نهض أمراء طيبة وأسسوا الاسرة الحاديه عشرة ، ثم جاء عهد الاسرة الثانية عشرة وهو العصر الذهبي للفنون والآداب والرفاهية .

أمنمحات الاول : أخضع الامراء بالهدايا ونقل العاصمة إلى اللشت وبنى بها معبدا وهرما واهتم بالزراعة والرى .

امنمحات الاول : مسلة عين شمس هى البقية الباقية من معبده . وله هرم فى اللشت .

امنمحات الثالث : له الفضل فى توسيع حدود مصر فى سوريا والنوبه .

امنمحات الثالث : اهتم بالزراعة وأنشأ سدا على بحيرة موريس ومقياسا للنيل عند سمنه واستخرج النحاس من سينا ، ومن آثاره قبره على البحيرة وهرمه فى هواره وإلى جواره قصر لا برنت الشهير .

مضارة الدولة الوسطى : عصر ذهبى فى الفنون والآداب والرفاهية والمحافظة على كيان المذكية ، مشروعات الرى العظيمة ، تجديد وإقامة المعابد ، بناء الاهرام التى تختلف عن أهرام الدوله القديمة ، التقدم العظيم فى صناعة الحلي والجعارين ، النهضة العظيمة في الكتابة الادبية تدل على ذلك قصة سانحات وقصة البحرى الغريق ، أصبح المعبود الاكبر أمون رع .

٨ — الهكسوس

غزا الهكسوس مصر فى عهد الاسرة الثالثة عشرة ، وهم خليط من الفينيقيين والعرب وسكان آسيا الصغرى ، وكانت عاصمتهم فى أول الأمر اكسويس وحكموا ، مصر من الأسرة الرابعة عشرة إلى السابعة عشرة ، وأخيرا طردهم أمراء طيبة بقيادة احمس . وحضارة الهكسوس حربية تعلم منهم المصريون تقسيم الجيوش واستخدام الخيل والعجلات ، وتعلموا هم من المصريين عباداتهم وفنونهم كصناعة التماثيل . وعثر فى تانيس على كثير من آثارهم ، ولذا يظن بعض المؤرخين أنها كانت عاصمتهم أخيرا .

٩ — الدولة الحديثة

الاسرة الثامنة عشرة : أسسها أحمس وهو من أمراء طيبة ، وفى أيام هذه الاسرة تشجع المصريون وبدأوا الفتوحات العظيمة بعد طرد الهكسوس .

تحتمس الاول : غزا السودان وسوريا حتى الفرات ، وزاد في الكرنك

حتشبسوت: اقامت معبد الدير البحري ، وزادت فى الكرنك ، واقامت عند مدخل فيه مسلتين من الجرانيت ، وارسلت حملة الى بلاد بنت جلبت الكثير من خيراتها .

تحتمس الثالث : قاد سبع عشرة حملة فتح فيها سوريا وفينيقيا وفلسطين واستولى على ارواد وقادش وهزم الميتانى وعقد صلحاً مع ملك بابل ووصل جنوبا فى افريقيا الى الشلال الرابع وبنى معبده الجنائزى فى طيبة ، وزاد فى الكرنك ووضع فيه مسلات كثيرة وله تماثيل كثيرة بعضها فى الكرنك وبعضها نقل الى دور التحف .

امنحتب الثالث : بنى معبد الأقصر ، وبنى معبداً غرب طيبة بقى منه تمثالا ممنون وزاد فى الكرنك وأنشأ طريق الكباش بين الاقصر والكرنك .

امنحتب الرابع : أبطل عبادة آمون وبقية الآلهة وفرض على الناس عبادة آتون وسمى نفسه اخناتون ونقل عاصمته من طيبة الى (اخيتاتون) عند تل العمارنة ، وانصرف عن السياسة فضاعت املاك مصر الاسيوية ، واستاء الجند والكهنة والعامة من حكمه .

توت عنخ امون : عثر على قبره فى وادى مقابر الملوك بطيبه . اعاد عبادة آمون وأرجع الحكم الى طيبة وبدأ يزداد فى عهده نفوذ كهنة آمون .

الاسرة التاسعة عشرة : رمسيس الأول ـ من آثاره بهو الاعمدة فى الكرنك .

سيتى الاول : أعاد الحكم المصرى إلي سوريا . وجلب الذهب من النوبة وسهل الرحلة اليها . واهم آثاره معبده فى ابيدوس ، وعليه أسماء ملوك مصر .

رمسيس الثانى . اطلق عليه الاكبر لاهتمامه بتخليد ذكراه . اخضع النوبة وارض النهرين وكان محباً للمباني ، بنى الرمسيوم ومعبد أبى سمبل واتم بهو الاعمدة فى الكرنك وزاد فى معبد الاقصر وله تماثيل كثيرة . حارب النوبيين وانتصر عليهم وحارب الحيثيين وعقد معهم المعاهده الشهيرة .

منفتاح : يقال إنه فرعون موسي ، حارب سوريا وليبيا وحافظ على حدود مصر.

الاسرة العشرون : رمسيس الثالث هزم النوبيين واللوبيين . زاد فى عهده نفوذ كهنة امون

١٠ — عهد الاضمحلال

تتلخص اسباب الاضمحلال بعد الاسرة التاسعة عشرة فيما يلى (١) زيادة نفوذ الكهنة (٢) استخدام الجند المرتزقين (٣) ظهور الدولة الاشورية .

الاسرة الحادية والعشرون : أسسها الكهنة برئاسة حرحور ، وعظم نفوذ اللوبيين فاسقطوا الكهنة واسسوا اسرة جديدة .

الاسرة الثانية والعشرون : اسسها اللوبيون برئاسة سيشاق ، وفى أواخر حكمهم حدث تفكك سياسى ، وعظم شان الامراء فساعد ذلك على دخول النوبيين مصر .

الاسرة الثالثة والعشرون : اسسها النوبيون واشتهر من ملوكها بعنخى وطهراقه وحكموا البلاد حتى الاسرة الخامسة والعشرين حيث تمكن الاشوريون من الانتصار عليهم وأقاموا نخاو أمير سايس والياً من قبلهم ، وتمكن ابنه ابسماتيك من طرد الاشوريين وتاسيس الاسرة السادسه والعشرين .

١١ — عصر النهضة الاسرة السادسة والعشرون

اشتغل الاشوريون بمحاربة بابل فاستعان ابسماتيك بالاغريق المرتزقين وطرد الاشوريين من مصر وكافأ الاغريق بان سهل لهم الاقامة فى مصر فاسسوا بلداً يدعى (نقراطش) أو (نقراش) ، وكانت النهضة الجديدة قائمة على محاكاة الفن الفرعونى أيام الدولة القديمة ، ونظراً لوجود الاغريق اصطبغت النهضة بصبغة تجارية .

ابسماتيك الاول : مؤسس الاسرة السادسة والعشرين . قوى الحكومة وجدد المعابد وارسل حملة لفلسطين بقيادة ابنه نخاو وفى ذلك الوقت ظهر البابليون وأسقطوا أشور وهزموا نخاو عند قرقميش .

نخاو : وصل الى الفرات عند قرقميش ، وأرسل اسطولا بحارته من الاغريق والفينيقيين للطواف حول افريقيا .

ابريس : استولى على بعض مدن فينيقيا، وقرّب اليه الاغريق فثار ضده الجند .

احمس : كان كبير الجند وثار ضد ابريس ليله للاغريق فاسقطه وجلس على عرش مصر .

البطالسة الثالث : في عهده دخل قمبيز ملك الفرس مصر .

١٢ — حضارة قدماء المصريين

١ — الحكومة : فرعون هو رأس الدولة ، واعظم الموظفين رئيس الوزراء ، وكان للقضاة احترام عظيم ، ومن كبار الموظفين أمناء المال ، ويقوم الناسخون بالاعمال الكتابية .

٢ — النظام الاجتماعي : ينقسم المجتمع المصرى الى ثلاث طبقات (١) العامة (٢) اصحاب الأرض (٣) الاشراف ، والصناعة الرئيسية بمصر الزراعة عداقطع الاحجار وجلب المعادن ، وكان الفلاح يعيش عيشة ساذجة بعيدا عن التدخل فى الشئون السياسية .

٣ — الديانة وأثرها : كان للديانة أثر كبير فى تكييف حضارة المصريين القدماء فقد كانت سبب تقدمهم فى الفنون والآداب والصناعات — وكانت لهم آلهة محلية وآلهة عامة تعبد فى كل أنحاء مصر ، والمصريون يعتقدون فى الحساب بعد الموت ، وكانوا يعبدون بعض الحيوانات لاعتقادهم أن أرواح الآلهة تحل فيها .

٤ — الاعراف والعادات : كان للدين أثر كبير في إبعاد المصريين عن المعاصى وتقريبهم من الفضائل ، ومن عاداتهم توارث الحرف وتزوج الاخ باخته والقاء فتاة فى النيل قرب فيضانه .

٥ — الكتابة : تطورت الكتابة الصورية فاصبحت رموزاً وحروفاً هى اللغة الهيروغليفية .

٦ — العلوم والاداب : نبغ المصريون فى العلوم والآداب وكتابة الادعية الدينية ووضع القوانين .

٧ — الصناعات والفنون : نبغ المصريون فى البناء والنحت وصنع التماثيل وصناعة النسج والورق والتعدين والنجارة ودبغ الجلود .

٨ — التجارة : تجول الاسطول المصرى فى البحرين الابيض والاحمر ، وكانت تقام الاسواق الداخلية وارتقت التجارة النهرية .

١٣ — علاقة مصر ببابل وأشور وكلديا

الامبراطورية البابلية : سرجون الاول هو مؤسس الامبراطورية البابلية ، واتصلت بلاده بمصر اتصالا تجاريا ، ثم جاء بعده حمورابى فاعاد الامبراطورية بعد تفرقها ودوّن القوانين .

الامبراطورية الاشورية : استطاع الاشوريون إسقاط الامبراطورية البابلية ، وظهر فيهم سرجون الثاني الذى حارب مصر وأرغمها على دفع الجزية ، ثم خلفه سنخاريب الذى حارب مصر ولم يتم فتحها ، وجاء بعده آسرحادون الذى استولى على مصر وأنهى حكم الاتيوبيين فيها ، وفى عهد أشور بانيبال استقل المصريون عن أشور بزعامة ابسماتيك الاول مؤسس الاسرة السادسة والعشرين .

الامبراطورية الكلدانية : بسقوط أشور قامت الامبراطورية الكلدانية التى مقرها بابل ومن ملوكها (نابوخذ ناصر) الذى هزم (نخاو) فرعون مصر عند قرقميش ، ثم ظهرت بعد هذا دولة الفرس فاستولت على أشور وكلديا وسوريا ومصر .

١٤ — علاقة مصر ببنى اسرائيل

دخل بنو اسرائيل مصر حين كان يوسف الصديق وزيراً لفرعون مصر فى عهد الهكسوس ، وخرجوا منها فى عهد الاسرة التاسعة عشرة . وبلادهم كانت جزءاً من مصر فى عهد الاسرة الثامنة عشرة ، واستقلوا أيام إخناتون ، ثم خضعوا لمصر ثانية أيام سيتى ورمسيس الثانى ، ثم استقلوا عن مصر فى عهد اضمحلالها ، وغزا (شيشاق) اللوبي ملك مصر بلاد فلسطين وسلب عاصمتهم أورشليم وحمل إلى مصر كنوز سليمان الذهبية .

١٥ — علاقة مصر بالفينيقيين

اتصل الفينيقيون بمصر اتصالا تجاريا أيام الاسرة السادسة ، وفى عهد تحتمس الثالث فتحت جيوش مصر بلاد فينيقيا وحكمها ولاة من المصريين ، واستقلت فينيقيا عن مصر أيام إخناتون وخضعت لمصر ثانية أيام سيتى الأول ورمسيس الثانى ، ثم بقيت الحال كذلك حتى أرسل نخاو ملك مصر اسطولا يجارته من الفينيقيين للطواف حول إفريقيا.

١٦ — علاقة مصر بالفرس

أعظم شخصيات التاريخ الفارسى زروستر وكورش ، فالأول حكيم وضع الديانة التى اعتنقها الفرس ، وخلاصتها أن هناك الهين يسيطران على العالم اله الخير واله الشر .

أما كورش فهو ملك فارس ومنشىء امبراطوريتها ، استولى على ميديا وليديا وآسيا الصغرى وتألف ضده تحالف كانت مصر من أعضائه فرغب فى الانتقام منها ، ولكنه مات وحكم بعده قمبيز فغزا مصر وهزم ابسماتيك الثالث ، ثم أساء إلى المصريين فهدم معابدهم وقتل العجل أبيس ، وحكم بعده (دارا الاكبر) فصالح المصريين وأحسن إليهم ، وجاء بعده اجزرسيس فاخمد ثورة المصريين ، ولم يلبث المصريون أن ثاروا مرة أخرى وطردوا الفرس عام ٤٠٥ ق . م . ثم عاد الفرس فاستولوا على مصر عام ٣٤٠ وبقيت كذلك حتى فتحها الاسكندر الاكبر .

« زوس »

(زوس Zeus) هو كبير الآلهة في أوليمپس وكان يسميه الرومان (جوپتر Jupiter) أو (المشترى) . ويعتقد اليونان أن أباه يدعى (كرونوس — Cronus) وأن أمه تدعى (ريا — Rhea) ومن إخوته بوزيدون وهيدس وهستيا وديمتر وكلهم من آلهة اليونان . وعندما اقتسم (زوس) وإخوته حكم العالم بطريقة الاقتراع كان البحر من نصيب (بوزيدون) والعالم السفلى من نصيب (هيدس) والسماوات من نصيب (زوس) والأرض من نصيب (ديمتر) ولكنها رغم ذلك مشتركة بينهم جميعا .